الجمهورية اليمنية

وزارة التربية والتعليم
قطاع المناهج والتوجيه
الإدارة العامة للمناهج

الإيمان

للصف الثالث الثانوي

حقوق الطبع محفوظة لوزارة التربية والتعليم

١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م

وزارة التربية والتعليم
قطاع المناهج والتوجيه
الإدارة العامة للمناهج

كتاب الإيمان

للصف الثالث الثانوي

المؤلفون

د . أحمد يحيى محسن العوامي / رئيساً

أ . حسن محمد جابر
أ . محمد لطف صبار
د . طاهر حامد الحاج
د . جميل سليمان داود الصلوي
د . أحمد اسماعيل مقبل
د . أحمد صالح قطران
د . محمد عبد الرحمن الجبوبي
أ . محمد يحيى سالم عزان
أ . أحمد محمد علي هادي
أ . علي أحمد محسن ردمان
أ . أحمد ناجي صالح الموتي / منسقاً

الإخراج الفني

صف وتصميم : محمد حسين المنصور
الصور والرسوم : محمد حسين الذماري

تدقيق التصميم : حامد عبدالعالم الشيباني

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

النشيد الوطني

رددي أيتها الدنيا نشيدي ... رديه وأعيدي وأعيدي
واذكري في فرحتي كل شهيدِ ... وامنحيه حُللاً مِنْ ضوءِ عيدي

رددي أيتها الدنيا نشيدي
رددي أيتها الدنيا نشيدي

وحدتي .. وحدتي .. يا نشيداً رائعاً يملأ نفسي ... أنت عهدٌ عالقٌ في كل ذِمّة
رايتي .. رايتي .. يا نسيجاً حِكْتُهُ من كل شمس ... أخْلُدي خافقةً في كل قِمّة
أمتي .. أمتي .. امنحيني البأس يا مصدر بأسي ... واذخُريني لَكِ يا أكرمَ أمة

عشتُ إيماني وحبّي أُمميًا
ومسيري فوق دربي عربيا
وسيبقى نبضُ قلبي يمنيا
لن ترى الدنيا على أرضي وصيا

المصدر: قانون رقم (٣٦) لسنة ٢٠٠٦م بشأن السلام الجمهوري ونشيد الدولة الوطني للجمهورية اليمنية

أعضاء اللجنة العليا للمناهج

أ. د. عبدالرزاق يحيى الأشول.

د. عبدالله عبده الحامدي.
د/ صالح ناصر الصوفي.
أ.د/ محمد عبدالله الصوفي.
أ/ عبدالكريم محمد الجنداري.
د/ عبدالله علي أبو حورية.
د/ عبدالله لملس.
أ/ منصور علي مقبل.
أ/ أحمد عبدالله أحمد.
أ.د/ محمد سرحان سعيد المخلافي.
أ.د/ محمد حاتم المخلافي.
أ/ علي حسين الحيمي.
د/ أحمد علي المعمري.
أ.د/ صالح عوض عرم.
د/ إبراهيم محمد الحوثي.
د/ شكيب محمد باجرش.
أ.د/ داوود عبدالملك الحدابي.
أ/ محمد هادي طواف.
أ.د/ أنيس أحمد عبدالله طائع.
أ/ محمد عبدالله زبارة.
أ/ عبدالله علي إسماعيل.
د/ عبدالله سلطان الصلاحي.

قررت اللجنة العليا للمناهج طباعة هذا الكتاب .

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

في إطار تنفيذ التوجهات الرامية للاهتمام بنوعية التعليم وتحسين مخرجاته تلبية للاحتياجات ووفقاً للمتطلبات الوطنية.

فقد حرصت وزارة التربية والتعليم في إطار توجهاتها الإستراتيجية لتطوير التعليم الأساسي والثانوي على إعطاء أولوية استثنائية لتطوير المناهج الدراسية، كونها جوهر العملية التعليمية وعملية ديناميكية تتسم بالتجديد والتغيير المستمرين لاستيعاب التطورات المتسارعة التي تسود عالم اليوم في جميع المجالات.

ومن هذا المنطلق يأتي إصدار هذا الكتاب في طبعته المعدلة ضمن سلسلة الكتب الدراسية التي تم تعديلها وتنقيحها في عدد من صفوف المرحلتين الأساسية والثانوية لتحسين وتجويد الكتاب المدرسي شكلاً ومضموناً، لتحقيق الأهداف المرجوة منه، اعتماداً على العديد من المصادر أهمها: الملاحظات الميدانية، والمراجعات المكتبية لتلافي أوجه القصور، وتحديث المعلومات وبمايتناسب مع قدرات المتعلم ومستواه العمري، وتحقيق الترابط بين المواد الدراسية المقررة، فضلاً عن إعادة تصميم الكتاب فنياً وجعله عنصراً مشوقاً وجذاباً للمتعلم وخصوصاً تلاميذ الصفوف الأولى من مرحلة التعليم الأساسي.

ويعد هذا الإنجاز خطوة أولى ضمن مشروعنا التطويري المستمر للمناهج الدراسية ستتبعها خطوات أكثر شمولية في الأعوام القادمة، وقد تم تنفيذ ذلك بفضل الجهود الكبيرة التي بذلها مجموعة من ذوي الخبرة والاختصاص في وزارة التربية والتعليم والجامعات من الذين أنضجتهم التجربة وصقلهم الميدان برعاية كاملة من قيادة الوزارة والجهات المختصة فيها.

ونؤكد أن وزارة التربية والتعليم لن تتوانى عن السير بخطى حثيثة ومدروسة لتحقيق أهدافها الرامية إلى تنوير الجيل وتسليحه بالعلم وبناء شخصيته المتزنة والمتكاملة القادرة على الإسهام الفاعل في بناء الوطن اليمني الحديث والتعامل الإيجابي مع كافة التطورات العصرية المتسارعة والمتغيرات المحلية والإقليمية والدولية.

أ.د. عبدالرزاق يحيى الأشول

وزير التربية والتعليم

رئيس اللجنة العليا للمناهج

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من أرسله الله رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين.. أما بعد:

فإن الشخصية الإيجابية المتكاملة التي تستهدفها التربية، لا يمكن أن تتحقق إلا مرتكزة على إيمان عميق، وخلق كريم، وتوجه صادق إلى الله سبحانه وتعالى، فهذه هي المحركات الحقيقية للسلوك والموجهات الفاعلة له، والسلوك هنا لا بد أن يكون محكوماً بمعايير الشرع الذي ارتضاه الله تعالى للبشر، وأرسل به رسوله محمداً ﷺ هدى ورحمة، حتى يمكن للإنسان المسلم أن يؤدي الأمانة الكبرى التي أوجده الله في هذه الحياة من أجلها وهي عبادة الله وفق منهجه سبحانه، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات]

ومنهج التربية الإسلامية للمرحلة الثانوية (المشتمل على: الإيمان، والفقه وأصوله، والحديث النبوي الشريف، والسيرة النبوية المطهرة) غايته تقديم هذه العلوم الشرعية لطلاب وطالبات هذه المرحلة في صورة منظمة ميسرة، معروضة وفق رؤية تربوية علمية، وربطها بحياتهم الخاصة وحياة مجتمعهم وأمتهم؛ بهدف جعلهم يتمثلون مضامينها في وجدانهم، ويحققون أهدافها في سلوكهم، بعد أن تتجلى معارفها في أفهامهم.

وبين يدي أبنائنا وبناتنا طلاب وطالبات الصف الثالث الثانوي كتاب **(الإيمان)** في ثوبه الجديد، بعد أن تم تطويره ضمن مشروع وزارة التربية والتعليم لتطوير المناهج التعليمية في مراحل التعليم العام «الأساسي والثانوي».

وقد حرصنا على أن يكون محققاً للأهداف التعليمية الخاصة والأهداف التربوية العامة، فراعينا ما يأتي:

١ – الانطلاق من المرجعيات الأساسية للجمهورية اليمنية المتمثلة في كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ والدستور، والسياسة التعليمية، والأهداف العامة للتربية والتعليم، والأهداف العامة لمادة التربية الإسلامية.

٢ – الخصائص النفسية «العقلية، والجسمية، والوجدانية، والاجتماعية» للطلبة في هذه المرحلة.

٣ – خصائص المجتمع اليمني ومشكلاته.

٤ – تحري الصحة العلمية والاعتماد على أوثق المراجع وأدقها.

٥ – التبسيط في عرض القضايا والمفهومات، واستخدام العبارات السهلة والواضحة والمفردات المألوفة.

٦ – التأكيد على الجوانب العملية السلوكية.

٧ – التأكيد على إيجابية الطالب، وحثه على التفكير والمشاركة الفاعلة.

إننا لنرجو أن نكون قد وفقنا إلى صواب القول والعمل فيما قدمناه في هذا الكتاب، سائلين الله تعالى أن يجعل ذلك خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به أجيالنا وبلادنا وأمتنا، آمين.

المؤلفون

المحتويات

الموضـــــوع | الصفحة

الدرس الأول : الدين ـــــــــــــــــــــــــــــــ ٧–١٤

معنى الدين ، حاجة الإنسان إلى الدين ، الإسلام

التقويم

الدرس الثاني : الإيمان بالغيب ـــــــــــــــــــــــــــــــ ١٥–١٩

معنى الإيمان بالغيب ، الغيب النسبي ، الغيب المطلق ،

طرق التعرف على عالم الغيب ، الغيب والحقيقة ،

فضل الإيمان بالغيب

التقويم

الدرس الثالث : الألوهية ـــــــــــــــــــــــــــــــ ٢٠–٢٥

معنى الألوهية ، لوازم الألوهية

مقتضى الإيمان بالألوهية

التقويم

الدرس الرابع : النبوة والرسالة ـــــــــــــــــــــــــــــــ ٢٦–٣٢

معنى النبوة والرسالة ، خصائص الأنبياء والمرسلين

المعجزات

النبي الخاتم

التقويم

الدرس الخامس : الوحي ـــــــــــــــــــــــــــــــ ٣٣–٣٧

معنى الوحي ، علاقة الوحي بالعقل

التقويم

الدرس السادس : الإعجاز العلمي في السنة النبوية ـــــــــــــــــــــــــــــــ ٣٨–٤٢

مفهوم الإعجاز العلمي في السنة النبوية

أهمية دراسة الإعجاز العلمي في السنة

التقويم

الدرس السابع : العلم والإيمان ـــــــــــــــــــــــــــــــ ٤٣–٤٨

معنى العلم ، العلم بوابة الإيمان

قيمة العلم عند المسلمين

الإيمان والتفوق المادي

التقويم

الموضـــــوع	الصفحة

الدرس الثامن : أثر الإيمان في حياة الفرد ـــــــ ٤٩ – ٥٤

الإنسان مخلوق مكرم
قرب الإنسان من الله
سمو الشعور والإحساس
السعادة الدائمة للمؤمن
الإيمان والأمل
التقويم

الدرس التاسع : أثر الإيمان في حياة المجتمع ـــــــ ٥٥ – ٥٩

شيوع الأخلاق العامة
التعاون ، الإيثار
الإيمان والأمن الاجتماعي
الحد من الجريمة
التقويم

الدرس العاشر : التوكل على الله ـــــــ ٦٠ – ٦٣

معنى التوكل ، التحرر من الخوف
التوكل والأخذ بالأسباب
علاقة التوكل بالثقة بالله
التقويم

الدرس الحادي عشر : الإيمان باليوم الآخر (١) ـــــــ ٦٤ – ٦٦

علاقة الدنيا بالآخرة
أحوال الناس عند الموت
عذاب القبر ونعيمه
البرزخ هو المرحلة الثالثة
التقويم

الدرس الثاني عشر : الإيمان باليوم الآخر (٢) ـــــــ ٦٧ – ٧٢

النفخ في الصور
العرض والحساب والميزان
العبور على السراط
النار وعذابها
الجنة ونعيمها
التقويم

الدرس الثالث عشر : الدعاء ـــــــ ٧٣ – ٧٧

معنى الدعاء ، أهمية الدعاء ، إجابة الدعاء
التقويم

الدرس الأول

الـديـن

الأهداف

يتوقع من الطالب بعد الانتهاء من الدرس أن :

١ – يبين معنى الدين .
٢ – يذكر الخصائص العامة للدين الصحيح .
٣ – يشرح حاجة الناس إلى الدين الصحيح .
٤ – يبين العلاقة بين الدين والتكاليف .
٥ – يبين معنى الإسلام .
٦ – يوضح مقومات الإسلام .
٧ – يستنتج أن الدين عند الله هو الإسلام .

ظل موضوع الدين يشغل الحيز الأكبر من عقل الإنسان وتفكيره على مدى تاريخ البشرية ولا تخلو حياة الإنسان منذ وجوده على ظهر الأرض من مظاهر التدين حتى إن علماء الآثار أثبتوا أنه لا تكاد تخلو أي مدينة من مدن العالم القائمة أو المندثرة من عناية سكانها بالمعابد وتشييدها وهو ما يؤكد وجود الدين وتلازمه مع وجود الإنسان . فما المقصود بالدين؟ وما مدى حاجة الناس إليه؟ وما الدين الصحيح؟ ذلك ما سنعرفه في الفقرات التالية من هذا الدرس :

معنى الدين

بحث العلماء في توضيح معنى الدين ونظروا إليه من جانبين :

الجانب الأول : معنى عام، ويقصد به أي دين، صحيح أو فاسد سماوي أو وضعي، فأوضحوا بأنه « الاعتقاد بوجود ذات أو ذوات غيبية علوية، لها شعور واختيار، ولها تصرف وتدبير في كل ما يعني الإنسان اعتقاداً يبعث على مناجاة تلك الذات في رغبة ورهبة وخضوع وتمجيد .

وهذا المعنى يدخل فيه كل الأديان الإلهية والوضعية البشرية التي وضعها الإنسان لنفسه فاتجه بواسطتها إلى عبادة وتأليه الجمادات والحيوانات والبشر، كما يدخل فيه

الديانات الإلهية التي حرفت كتبها الأصلية مثل التوراة التي أنزلت على موسى، والإنجيل الذي أنزل على عيسى عليهما السلام، أو فقدت صحفها وكتبها مثل ما نزل على نوح وإبراهيم وداود عليهم السلام.

الجانب الثاني: معنى خاص بالدين الإلهي الصحيح، وهو المعنى الذي وضعه علماء الإسلام وبينوا فيه بأنه: «نظام إلهي شامل لحياة الإنسان في الدنيا والآخرة، أوحى الله به إلى رسول من البشر يدعو عقلاء الناس للالتزام به، والخضوع له ولتنظيم علاقتهم بالله رب العالمين، وتنظيم علاقة بعضهم ببعض، وعلاقتهم بسائر الموجودات في حياتهم الدنيا، ثم يحاسبون على مقدار التزامهم وخضوعهم لهذا النظام في الآخرة».

الخصائص العامة للدين الصحيح:

إذا أمعنا النظر في معنى الدين الصحيح تبين لنا أنه يتسم بالآتي:

١ – إن مصدر الدين هو الله سبحانه وتعالى، المتصف بالكمال المطلق، العالم بحاجات الناس والخلق أجمعين، والعالم بما يضرهم وما ينفعهم،ولذلك فإن أي نظام يضعه البشر لأنفسهم يعدُّ دينا باطلاً لأنه عرضة للتغيير والتبديل، وليس له قدسية الدين الصحيح.

٢ – إن الذي يتلقى هذا الدين من الله ويبلغه للناس رسول من البشر اختاره الله، متصف بالصدق والأمانة والفطنة، والقدرة على مخاطبة الناس، والحرص على جلب النفع لهم ودفع الضر عنهم،ويمتاز بالرحمة والشفقة والصبر على أذى الآخرين.

٣ – إن الرسالة التي بلّغها الرسول إلى الناس وحي يقصد به تعريف الناس طريق هدايتهم إلى منهاج عبادة الله سبحانه وطرق إقامة علاقات مع الذات والآخر ومع سائر الموجودات.

٤ – إن الناس الذين بلغتهم الرسالة ملزمون بتنظيم أمورهم الدنيوية طبقاً لنص الرسالة المبلغة إليهم، ثم يثابون أو يعاقبون على قدر التزامهم بالنظام، أو تفريطهم فيه.

حاجة الإنسان إلى الدين

حاجة الإنسان إلى الدين الإلهي الصحيح حاجة أصيلة تتصل بجوهر الحياة وسر الوجود بعامة وسر وجود الإنسان بخاصة، وفي النقاط الآتية بيان وجه الحاجة إلى الدين في حياة الإنسان:

١ – حاجة الإنسان العقلية:

فالإنسان منذ نشأته تلح عليه أسئلة كبرى يريد الإجابة عليها، ومن هذه

الأسئلة: من أين جئت؟ ومن أين جاء هذا الكون العريض من حولي؟ هل وجدت وحدي أم هناك خالق أوجدني؟ وما الغاية من وجودي؟ ما صلتي بالخالق الذي أوجدني؟ وهذا العالم الكبير بأرضه وسمائه وحيوانه ونباته وجماده وأفلاكه.. هل وجد وحده أم خلقه مدبر حكيم؟ ثم ماذا بعد هذه الحياة؟ إلى أين المسير؟ وأين المستقر؟ مثل هذه الأسئلة التي تلح على عقل الإنسان ويظل يبحث عن إجابة عنها لا يستطيع العقل أن يجيب عليها إجابة شافية كافية إلا باللجوء إلى الدين الصحيح الذي أورد إجابات كافية عن هذه الأسئلة الكبرى بواسطة الوحي الإلهي المنزل على رسول الله.

٢- حاجة الإنسان الفطرية:

الإنسان له حاجاته الروحية والوجدانية، وهو أنه متدين بالضرورة ومن أصل خلقته، لأنه نفخة من روح الله، والإنسان يشعر بهذا، فيحس من أعماق نفسه بأنه يدين بالولاء لقوة جبارة، وأنه مخلوق طبقا لناموس كوني ليكون عابداً لله تعالى. فإذا انحرف عن عبادة الله وسار في غير طريق الله فإنه ينحرف بسبب الضغط السلطوي الذي يمارس عليه من قبل الأسرة المنحرفة، أو المجتمع المنحرف، أو الدولة المنحرفة، ولذلك يظل في صراع مع نفسه وعقله وقلبه وهواه وشهواته، فأحياناً ينتصر داعي الفطرة لمن غلب عليه جانب الخير، فيكون من الناجين، فيتغلب على هواه وشهواته ونفسه الأمارة بالسوء؛ وأحياناً تطغى على الإنسان نوازع الشر فتحجب نور الفطرة وتطمس نور البصيرة وهنا توجد المبررات للاندفاع في طريق الغي والضلال بعيداً عن الفطرة.

إن الإنسان بفطرته لا يقنعه علم ولا ثقافة، ولا يشبع نهمته فَنٌّ ولا أدب، ولا يملأ فراغ نفسه متعة الدنيا وزينتها، فيظل في حالة عدم استقرار حتى يشبع فراغ النفس والروح والعقل والقلب بالدين الصحيح والالتزام به؛ وتلك هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

٣- حاجة الإنسان إلى الصحة النفسية:

إذا ألمت بالإنسان الشدائد، وحلت بساحته الكوارث، وفقد ما يحب أو واجه مايكره، فإنه يجد في الدين قوته في حالة الضعف، وأمله في ساعة اليأس، ورجاءه حين الخوف، ولذلك يكون إيمانه العميق بالدين الصحيح ملاذه الذي يجد فيه الصحة النفسية، والقوة الروحية، فيواجه الشدائد والكوارث بنفس راضية مطمئنة وقلب واثق سليم؛ فيلقى في الدين ما يهون عليه مصاعب الدنيا، ويجد من السكينة وراحة البال ما لا يمكن أن يوجد في علم، أو فلسفة، أو مال، أو ولد، أو جاه، أو منصب.

علاقة الدين بالتكاليف

إن الإيمان بالله سبحانه وتعالى واحد لا شريك له في ذاته وصفاته وأفعاله ليس مجرد إيمان قلبي يخبأ في ضمير الإنسان وقلبه، دون أن يكون له أثر في حياة الإنسان؛ ولكنه عقيدة لها تبعات وتكاليف ومسئوليات تستلزم الامتثال والطاعة، وأداء حق العبودية للإله المعبود، ويمكن لنا أن نتبين علاقة الدين بالتكاليف في الآتي:

١- إن التكاليف التي شرعها الله وفرضها على عباده تتلاءم وحدود طاقة الإنسان المكلف فيؤديها مستشعراً رحمة ربه وعدله في تنزيل التكاليف في حدود قدرة الإنسان وإمكاناته، ولا يكلفه بما لا يطيقه، ولذلك يجب أن يؤدي الإنسان هذه التكاليف برغبة وشوق دون تبرم، ولا ضيق، ولا تثاقل، ويؤدي كل عمل منها في الوقت المحدد له، ويعد المؤمن أداء التكاليف حقاً لازماً للمعبود على العبد ودِيْنًا يَدِيْنُ لله به.

٢- إن الله تعالى – رحمة منه بعباده – يستحثهم على أداء التكاليف ويكافؤهم على ما يقومون به من أعمال الخير أضعافا كثيرة، فإذا عمل العبد حسنة كتبت له عشر حسنات، وإذا عمل سيئة كتبت واحدة فقط، وإذا همَّ بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة، وهو منتهى الرحمة والعدل والإحسان.

٣- إذا تثاقل المكلف وقصّر في أداء أي تكليف فإن قصوره دليل على ضعف إيمانه وليس دليلاً على أن العبء فوق طاقته واحتماله؛ ولذلك فإن على العبد المكلف أن يوقظ همته، وينتصر على عوامل الضعف في إيمانه؛ حتى يفوز برضوان ربه ويدين لله بالولاء والطاعة، ويؤدي التكاليف الشرعية بإخلاص.

الإسـلام

كل السمات والخصائص التي ذكرت في توضيح معنى الدين الصحيح لا تنطبق إلا على الإسلام فهو الدين الإلهي الوحيد على وجه الأرض الذي لم يطرأ عليه أي تغيير أو تبديل أو تحريف، فمنذ أن أنزل الله هذا الدين وهو في حالة تجدد دائم يلبي كل حاجات الإنسان في كل زمان ومكان.

مقومات الاسلام:

بناء على ماتقدم شرحه في الفقرات السابقه يمكن اجمال مقومات الإسلام في النقاط الآتية:

١- العقيدة الصافية النقية: هي الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله والإيمان

باليوم الآخر والقدر خيره وشره، وهذه العقيدة من مميزاتها:

- الوضوح في توحيد الله فلا مجال فيها للثنائية أو التثليث.

وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص]

- التطابق مع الفطرة. **قال تعالى:** ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾ [الروم]

- عقيدة ثابتة ومحددة لا تقبل الزيادة ولا النقصان، فهي كاملة بكمال دين الإسلام.

قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾ [المائدة:٣]

- إنها عقيده قائمة على الحجة والبرهان والإقناع العقلي، ولا مجال في العقيدة لتقليد الآباء والأجداد فقد نعى الله على المشركين الذين قالوا، كما حكى الله:

﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ۝٢٣﴾ [الزخرف]

- الوسطية والاعتدال، فلا غلو في عقيدة الإسلام ولا مبالغة في إثبات صفات الله جل وعلا تجعله شبيهاً بخلقه، ولا مبالغة في نفي الصفات حتى تنكر ما وصف به نفسه، ولا تبالغ في صفات الأنبياء حتى تخرجهم من حدود البشر، ونحو ذلك من أمور المغالاة التي تخرج الدين عن جوهره. **قال تعالى:** ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة:١٤٣] فهم أمة وسط لأنهم ملتزمون بعقيدة الوسطية والاعتدال.

٢- **العبادة الخالصة لله وحده**: المتضمنة معنى التذلل والخضوع والحب لله بحيث يكون الله ورسوله أحب إليه من نفسه وولده ووالده والناس أجمعين قال تعالى:

﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ﴾ [التوبة:٢٤] ، والعبادة في الإسلام تشمل حياة الإنسان كلها، وكل ما يقوم به الإنسان من تكاليف، سواء في إقامة الشعائر أوالمعاملات، أوالأخلاق، أوبناء الأسر، والمجتمعات، فكلها عبادة لله يُلْزِمُنا بها دين الإسلام.

٣- الأخـلاق :

لقد عني الإسلام بالأخلاق الكريمة عناية فائقة، فوصف الله نبيه الكريم بصاحب الخلق العظيم فقال تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾[القلم] وقال عليه الصلاة والسلام « إنَّما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق »[١] وفي هذه الفقرة نشير إلى أهم القيم الخلقية الكبرى التي اهتم بها الإسلام :

أ – أكد القرآن على قيم العدل والإحسان ومواساة الأقارب وهي قيم كبرى لا تستقيم الحياة بدونها . **قال تعالى:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [النحل:٩٠]

ب– حث القرآن الكريم على الصدق وملازمة الصادقين فقال :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝١١٩﴾ [التوبة:١١٩]

جـ – أمر الله بالالتزام بالأمانة وأدائها فقال : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾[النساء:٥٨]

دـ – أمر الله المؤمنين بالوفاء بالعهود والعقود فقال تعالى :

﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ﴾[النحل:٩١] **وقال تعالى :** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [المائده:١]

هـ– ربط رسول الله عليه الصلاة والسلام بين الأخلاق والإيمان فقال :« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت »[٢] وقال عليه الصلاة والسلام : « الإيمان بضع وستون– أو قال : بضع وسبعون– شعبة أعلاها : لا إله إلا الله، وأدناها، إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان .[٣]

إن الأخلاق الكريمة منظومة متكاملة تسري في كيان الإنسان كله فإذا التزم بها فإنه يكون بحق مسلماً ملتزماً بالدين، ويكون في غنى عن الزواجر المادية الخارجة عن الذات، وفي غنى عن توقيع العقوبات النفسية والبدنية التي أعدت في الأصل للشواذ والمنحرفين الذين لم يتغلغل الإيمان في قلوبهم فهبطت أخلاقهم حتى حدثت فجوة وجفوة بين السلوك والدين، ولا يزيل هذه الجفوة ولا يردم الفجوة إلا الإعتصام بالإسلام نظاماً شاملاً يستمد منه الإنسان كل مقومات حياته الخلقية، فمن لا دين له لا مكان للالتزام الخلقي في حياته .

---

١ – أخرجه مالك في الموطأ بلفظ لأ تمم حسن الأخلاق، وأحمد في المسند .

٢ – أخرجه أبو داود كتاب السنه والنسائي كتاب الإيمان .

٣ – أخرجه البخاري ،كتاب الإيمان باب أمور الإيمان، ومسلم كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان، عن أبي هريرة رضي الله عنه .

٤- الشريعة:

تعد الشريعة مقوماً أساسياً من مقومات الإسلام، ويقصد بها الأنظمة التي تضبط سير الحياة الإسلامية؛ فتنظم علاقة الناس ببعضهم في جميع جوانب حياتهم العملية، فيتعاون الناس ويتبادلون المنافع والمصالح، ويحققون جوانب العدل والخير ويدرأون عن أنفسهم عوامل الظلم والفساد طبقا لما يحبه الله ويرضاه، وفي هذه الفقرة يمكن أن نشير إلى الحقائق التالية عن الشريعة الإسلامية:

أ – إن شريعة الإسلام جاءت في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة بتفصيلات في بعض الأشياء، وأشارت إلى بعض الأشياء إجمالاً، وسكتت عن أشياء كثيرة وهي متروكة لاجتهادات العلماء يعالجون فيها المستجدات مستلهمين في ذلك مقاصد الشريعة، مستوحين يسر الإسلام وسماحته من ناحية،وجلب المصالح ودرأ المفاسد من ناحية أخرى؛ وتعد اجتهاداتهم من الشريعة الإسلامية.

ب – إن أحكام الشريعة الإسلامية واضحة، ومفهومة، ومربوطة بمصالح الخلق وحاجاتهم ولها أهداف عليا تسعى لتحقيقها وأهمها:

- إقامة العدل بين الناس.
- تحديد الحقوق والواجبات.
- إزالة أسباب النزاع والخصام.
- ترسيخ مبدأ الأخوة.

جـ- تطبيق الشريعة الإسلامية والاحتكام إلى شرع الله قضية هامة في حياة المسلمين، وبها يتحقق معنى العبودية لله رب العالمين، ويفرق بها بين المجتمعات المسلمة والكافرة: **قال تعالى:** ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ﴾ [المائدة:٤٩]

التقويم

١ – ما معنى الدين؟

٢ – اشرح الخصائص العامة للدين مدعماً شرحك بالأدلة.

٣ – حاجة الإنسان إلى الدين الإلهي الصحيح حاجة أصلية. وضح ذلك.

٤ – وضح معنى الإسلام.

٥ – أذكر مقومات الإسلام مستشهداً على ذلك من الكتاب والسنة.

٦ – علام تدل هذه الآيات؟ وضح ذلك على ضوء ما فهمت من الدرس.

قال تعالى :

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم]

قال تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [آل عمران]

الدرس الثاني

الإيمان بالغيب

الأهداف

يتوقع من الطالب بعد الانتهاء من الدرس أن :

١ – يوضح معنى الإيمان بالغيب .
٢ – يدلل على أن عالم الغيب حقائق موجودة وجوداً حقيقياً .
٣ – يوضح علاقة الغيب بالحقيقة .
٤ – يوضح فضل الإيمان بالغيب .
٥ – يبين طرق التعرف على عالم الغيب .
٦ – يوضح حكم الإيمان بالغيب .

الغيب والشهادة وجهان متقابلان، فعالم الشهادة يدلنا على عالم الغيب؛ وعالم الغيب يفسر لنا كثيراً من عالم الشهادة؛ وعالم الغيب ليس عالماً من الأوهام والخيالات ولكنه عالم من الحقائق واليقينيات الكبرى لا يوفَّق للتسليم بها إلا من ملأ الله قلوبهم بالإيمان، وقد كلفنا الله سبحانه وتعالى بالإيمان بالغيب وجعله صفة من صفات المتقين قال تعالى : ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ [البقرة] وفي هذا الدرس نتبين معنى الغيب، وطرق التعرف على عالم الغيب، وفضل الإيمان بالغيب، وما يؤدي إليه الإيمان بالغيب .

معنى الإيمان بالغيب

الغيب هو ما غاب عنا ولم نستطع إدراكه بحواسنا، وقد أخبرنا الله عزوجل عن كثير من أمور الغيب، وكذا الرسول الأمين ﷺ مثل صفات الله عزوجل، وعالم ما بعد الموت مثل عذاب القبر ونعيمه، والحشر، والحساب، والجنة، والنار، وعن عوالم خلقها الله مثل الملائكة، والجن، وغير ذلك مما لا يقع تحت طائلة الحس من الأمور الغيبية التي لانملك إلا التصديق والاعتقاد بوجودها ووقوعها .

الغيب النسبي

في ذات الإنسان أشياء كثيرة لا يستطيع الإنسان إدراكها بواسطة وسائل الإدراك الحسية (البصر، والسمع، والشم، والذوق، واللمس)، ولكنه يشعر بوجودها في داخل كيانه مثل الانفعالات والعواطف، والروح والعقل؛ وذلك كله غيب.

وهناك وسائل لتقريب بعض الأشياء الخفية إلى مدركاتنا؛ فالأجسام البعيدة التي لا نستطيع إدراكها بالعين المجردة قربها لنا المنظار وحولها من عالم الغيب إلى عالم الشهادة، وما في باطن الأرض من ثروات استطاع الإنسان اكتشافها وإخراجها والانتفاع بها، وهكذا في سائر صنوف المادة، الدنيا وهناك من المواد ما لا نستطيع إدراكها إلا بآثارها مثل التيار الكهربائي والذرة وقوة الجاذبية فقد بين لنا العلم آثارها، والتجارب أظهرت لنا الخطوات التي نتبعها للحصول على المؤثر ونقيس آثاره. كل ذلك من عالم الغيب الذي قد يتمكن الإنسان من اكتشافه وتحويله من عالم المجهول إلى عالم المعلوم وهذا هو الغيب النسبي.

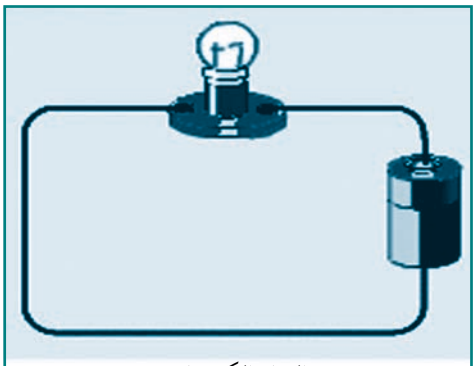

التيار الكهربائي

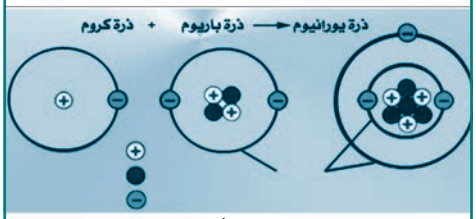

الذرَّة

غيب نسبي كشفه العلم الحديث وعُرِف بآثاره

الغيب المطلق

هناك أشياء تظل معرفتنا بها بعيدة عن حدود قدراتنا العقلية والذهنية، ولا يستطيع الإنسان إدراك حقيقتها إلا بواسطة العلم الذي يأتينا من الله عز وجل، مثل تبين حقيقة الملائكة، وحقيقة الجن وهي عوالم تسبح في ملكوت الله ولا نستطيع إدراكها بأي وسيلة من الوسائل المتاحة للإنسان إطلاقاً، وهذا هو الغيب المطلق، وهو المقصود بالغيب الذي وصف الله به المتقين في سورة البقرة بأنهم الذين يؤمنون بالغيب.

طريق التعرف على عالم الغيب

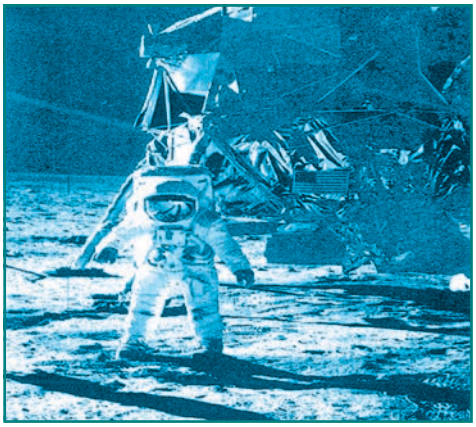

غيب نسبي كشفه العلم الحديث

لا تستطيع مُدْرِكات عقولنا أن تقف على حقيقة عالم الغيب مهما بلغنا من التقدم العلمي ومهما استخدمنا أدوات الكشف الحديثة الهائلة؛ ولابد من وسيلة للعلم به خارجة عن مجال تصورات العقل البشري وحدوده، والوحي الذي أنزله الله على الأنبياء والمرسلين المتصفين بالصدق والأمانة، وبلغوه إلينا بشكل يقيني واضح؛ هو الوسيلة الوحيدة لمعرفة عالم الغيب والوقوف على حقيقته.

وليس كل عالم الغيب متاحاً لنا إدراكه بواسطة الوحي، فلا يصل إلينا إلا ما يريد الله أن نعلمه، وتظل هناك أمور غيبية لا يعنينا من أمرها شيء قال تعالى:

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة:٢٥٥] ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل:٦٥]

ولذلك على العقل أن يستوعب العلم الحاصل عن طريق الوحي ويتغذى بمعارفه في كل ما لا يستطيع الوصول إليه عن طريق أدوات الحس العادية.

أما الغيب النسبي فقد يصبح متاحاً لنا إدراكه بواسطة التقدم العلمي، مثل إدراك بعض أسرار تكون الجنين، ومعرفة سطح القمر، واسترجاع بعض حوادث التاريخ القديمة بواسطة الكشوف الأثرية، وغير ذلك مما كان غيباً ثم انتقل بواسطة التقدم العلمي إلى عالم الشهادة.

الغيب والحقيقة

كل ما أخبر به الله عز وجل من عالم الغيب هي حقائق موجودة وجوداً حقيقياً وليست أوهاماً أو خيالات، ولكننا لا نستطيع إدراكها بواسطة أدوات الإدراك العادية.

فالملائكة حقيقة واقعية ولها وجود في عالم الواقع ذكرهم الله في القرآن

وشاهدهم الرسول في مواقف معينة، أما الجن فقد ذكرهم القرآن الكريم ووردت أحاديث بلقائهم رسول الله، وإسلام بعض قبائلهم؛ فهم كذلك حقيقة لها وجود في عالم الواقع، أما الجنة والنار فإن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تضافرت على وجودها، وعلى هذا الأساس فإن جميع عالم الغيب المذكور في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة حقيقة، منه ما كشفه الله لرسوله وأطلعه عليه، ومنه ما استأثر الله بعلمه ولم يكشفه لأحد من خلقه كما قال تعالى:

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن:٢٦-٢٧]

فما يأذن الله به من الغيب يطلع عليه رسله في حدود ما يعينهم على تبليغ دعوة الله للناس.

فضل الايمان بالغيب

١- الإيمان بالغيب من صفات المتقين، وهو دليل على حسن استعداد النفوس لتلقي حقائق الدين والتصديق بها والعمل بها، ولهذا جاءت هذه الصفة في أول صفات المتقين في أول سورة البقرة قال تعالى:

﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ [البقرة]

٢- الإيمان بالغيب سمة من سمات الإنسان، ارتقى بها عن مرتبة الحيوان الذي لا يدرك إلا ما تدركه حواسه، ولذلك فالإيمان بالغيب يفضل على الإيمان بالمشاهدة، قال عبد الرحمن بن يزيد: كنا عند عبدالله بن مسعود جلوساً فذكرنا أصحاب النبيﷺ وما سبقونا به فقال عبدالله بن مسعود: إن أمر محمدﷺ، كان بَيِّنًا لمن رآه ثم قال: والذي لا إله غيره ما آمن من أحد قط إيماناً أفضل من إيمان بغيب، ثم قرأ صدر سورة البقرة إلى قوله تعالى: ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾[1] وفي حديث آخر أن رسول اللهﷺ سئل: هل من قوم أعظم منا أجراً؟ آمنا بالله واتبعناك، قال: «ما يمنعكم من ذلك ورسول الله بين أظهركم يأتيكم بالوحي من السماء؟ بل قوم بعدكم يأتيهم كتاب بين لوحين يؤمنون به ويعملون بما فيه، أولئك أعظم أجراً منكم مرتين»[2].

١ – الحديث صحيح على شرط الشيخين وأخرجه الحاكم في مستد ركه / ٢/ ٢٢٦

٢ – أخرجه الطبراني في الكبير ٢٣ / ٤ عن أبي جمعه الأنصاري.

التقويم

١ – وضح معنى الإيمان بالغيب؟

٢ – عرفت أن عالم الغيب هي حقائق موجودة وجوداً حقيقياً. دلل على ذلك من الكتاب والسنة.

٣ – كيف تعرف أن الغيب يدرك بآثاره؟ وضح ذلك بالأدلة العقلية والنقلية.

٥ – قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾ [الجن:٢٦-٢٧] اشرح هذه الآية.

٦ – اذكر أنواع الغيب، ثم بين طرق معرفة كل نوع منها.

٧ – ما الغيب الذي يعلمه الرسل عليهم الصلاة والسلام؟

٨ – اذكر فضل الإيمان الغيب.

الدرس الثالث

الألوهيـة

الأهداف

يتوقع من الطالب بعد الانتهاء من الدرس أن :

١ – يبين معنى الألوهية .

٣ – يشرح لوازم الألوهية .

٤ – يدلل على كمال الله المطلق في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله .

٥ – يدلل على أن الله منزه عن مشابة مخلوقاته .

٦ – يبين أن الفاعلية المطلقة لله وحده في ملكه .

٧ – يوضح مقتضى الإيمان بالألوهية .

الألوهية كلمة بسيطة غير مركبة، والمسلم مطالب في كلِّ وقت وحين بتحقيق معناها والالتزام بما يترتب على فهم مدلولها من عقيدة وفكر ونظام عبادة وأخلاق وتعاملات اجتماعية واقتصادية وسياسية . وفي هذا الدرس سنحاول إلقاء نظرة على معنى الألوهية وتوضيح معنى وحدانية الله بناء على وضوح معنى الألوهية، ثم نعرف ما يترتب على فهم معنى الألوهية من أفعال قلبية وأفعال جوارح .

أولاً : معنى الألوهية :

يؤخذ معنى الألوهية من التأليه أي التفرد بغاية الجلال والعظمة والكبرياء وغيرها من الصفات التي لايمكن لغير الله الاتصاف بها على الحقيقة، ولذلك لا يستحق أحد غير الله أن يتصف بالألوهية، وهي في الحقيقة تشير إلى أن من اتصف بالألوهية هو المعبود الذي يجب أن تتجه إليه كل المخلوقات بالعبادة وتخضع له بالطاعة والاستسلام، وعلى هذا الأساس فإن المؤمن ينفي صفة الألوهية عن غير المعبود بحق وهو الله سبحانه وتعالى، فيشهد دائماً وأبداً بأن « لا إله إلا الله » حتى صار النطق بهذه الكلمة بوابة الدخول في الإسلام، ومن يتصف بالألوهية هو الذي يتجه إليه الإنسان في عبادته، ويتلقى منه منهاج عقيدته، وشريعته، وأخلاقه وأسلوب تعامله

مع كافة المخلوقات والمؤمن حين يحل في قلبه هذا المعنى يخلص قلبه وعقله لله تعالى فلا يتعلق بشيء سواه.

ثانيا: لوازم الإيمان بالألوهية

الإيمان المطلق بالله الواحد الأحد يستلزم الإيمان بعدد من القضايا التي يعد الإيمان بها لازماً من لوازم الإيمان بالألوهية، ومن أهم هذه اللوازم الآتي:

١- الربوبية:

ومن لوازم «الألوهية» الربوبية التي تعني أن الله رب كل شيء ومالكه وأنه الخالق الرازق المحيي المميت، وهو ما يعني تفرده سبحانه في خلقهم وملكهم وتدبير شئونهم، وأنه وحده الضار والنافع، مجيب دعاء المضطرين، مفرج كربات المكروبين، له الخلق كله وله الأمر كله، كما قال سبحانه:

﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾[الأعراف]

ويدخل في الربوبية الإيمان بالقضاء والقدروالإيمان بولاية الله للخلق كما قال تعالى:

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الأنعام] فهناك تلازم بين الربوبية والألوهية من حيث إن الإقتصار على الإقرار لله بالربوبية في الخلق والإحياء والإماته لا بد أن يصاحبه إقرار بالألوهية في الوحدانية والعبادة والتذلل والخضوع والمحبة والخوف والرجاء والتوكل.

٢- الوحدانية:

وحدانية الله لازم من لوازم الألوهية، فلا مجال للتعدد في قضية الألوهية؛ فإن الإله لا يمكن أن يكون إلا واحداً، فلو تأملنا هذا الكون الفسيح الذي يعجز العقل الإنساني عن تدبره وعن معرفة مبتدئه ومنتهاه، لابد أن يكون المهيمن عليه الذي أنشأه وأوجده واحدا، حيا لا يموت، قائماً بتدبير شئونه في كل الأحوال والظروف، لا تأخذه سنة ولا نوم، لا تغيب عنه حركة أي شيء في الكون مهما صغر حجمه، كل ما في الكون ومن فيه في حاجة إليه، وهو لا يحتاج إلى غيره، بيده مقاليد السموات والأرض، لا ينازعه أحد في تدبير هذا الكون، قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[الأنبياء:٢٢]

إِنَّنَا لو قدَّرنا مثلاً وجود إلهين اثنين– تعالى الله – وقدَّرنا أن أحدهما أراد تحريك جسم، وأراد الثاني تسكينه فإن الأمر لا يخلو إما أن يحصل مرادهما معاً أو يحصل مراد أحدهما دون الثاني، وحصول مرادهما معاً مستحيل لاستحالة أن يكون الجسم الواحد في الحاله الواحدة في وقت واحد متحركا ساكنا؛ وحصول مراد أحدهما دون الثاني يثبت أن أحدهما هو الإله والآخر عاجز ليس بإله، وبذلك ينتفي التعدد وتتوجب الوحدانية، وهو أمر منطقي ومدرك حتى في عالم المحسوسات، وهذا ما عبر عنه القرآن الكريم في قوله عز وجل:

﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [المؤمنون]

وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص]

٣ – الكمال المطلق:

من لوازم الألوهية أن يكون المتصف بها كاملاً كمالاً مطلقاً في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله. فهو في القدرة قادر على كل شيء ولا يعجزه شيء، وهو في العلم محيط بكل شيء يعلم أدق التكوينات في خلقه، ويعلم بحاجاتهم؛ فيرسم لهم مناهج حياتهم بما يناسب كماله وعلمه الشامل وبما يناسب محدودية قدرة الإنسان وفعله وعلمه؛ ولذلك رسم لهم مناهج تنظم شؤنهم وتنظم علاقتهم بربهم وعلاقاتهم ببعضهم وفق قدراتهم وطاقاتهم.

٤ – تنزيهه تعالى عن الشبيه:

من لوازم الألوهية أن من يتصف بهذا الوصف يكون مغايراً لمخلوقاته فلا يشبهه أحد ولا هو يشبه أحداً لا في الذات ولا في الصفات ولا في الأفعال، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾[الشورى] ، ويستحيل أن يكون الإله مشابها للمخلوق لأن التشابه ينفي صفة الألوهية التي تستلزم التفرد في الألوهية والربوبية وعلى ذلك يستحق وحده العبادة كما قال تعالى :

﴿ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾[مريم]

أي لا تعلم له شبيها ولا نظيرا؛ فلاتشابه بين الإله وغيره في ذاته أو صفاته أو

أفعاله، وما ورد من صفات الله تعالى في الآيات والأحاديث تشعر بالمماثلة بين الخالق والمخلوق فإنها تنصرف إلى محدودية هذه الصفة في المخلوق ونسبيتها، وهي في حق الله تعالى صفة مطلقة بدون حدود ولا قيود؛ فله وحده الكمال المطلق.

٥ - القدرة المطلقة:

من لوازم الألوهية أن من يتصف بها يكون ذا قدرة مطلقة، وفاعلية ليست محدودة زمناً ولا مكاناً، فله وحده مطلق التصرف في كونه كما يريد، فهو ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ [البروج] فله سبحانه سنن يخضع لها جميع المخلوقات من إنسان وحيوان ونبات وجماد، وينفذ فيهم فعل الله وإرادته كما قال تعالى:

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران]

فلو تتبعنا فاعلية الله لوجدنا سجلا ضخماً يفوق قدرة الإنسان وتصوراته، ينزل رحمته على قوم فيغنيهم ويجعلهم أقوياء مادياً ولكنهم لا يشكرون هذه النعمة ولا يعترفون بفضله فيركسهم ويسلط عليهم عذابات مثل الأوبئة والأمراض والزلازل والأعاصير والبراكين وحرائق الغابات وكوارث الحروب، وكساد التجارة، فإذا لم يرجعوا إلى الله في حياتهم الدنيا فإن عقابهم الشديد مدخر لهم يوم القيامة قال تعالى: ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾﴾ [لقمان].

وهذا نموذج من فاعلية الله في كونه في أزماننا المعاصرة. أما بالنسبة للأمم السابقة فقصص الإهلاك للطغاة والجبابرة، ونجاة المؤمنين كثيرة جداً أشار إليها القرآن الكريم بقوله تعالى:

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾﴾ [ابراهيم]

وقال تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم ﴿٣٨﴾﴾ [محمد]

إنها فاعلية رحمن، رحيم، قوي، مهيمن، جبار، قهار ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ [البروج]، لا يُسْأَل عما يفعل لا إله إلا هو.

ثالثاً: مقتضى الإيمان بالألوهية

بناء على ما تقدم فإن تصور الإنسان العاقل للألوهية الحقة تجعله على يقين بأن من يتصف بصفة الألوهية لا يمكن إلا أن يكون واحداً حيا، لا يموت، ولا يحده مكان ولا زمان، وأنه صمد لا يحتاج إلى غيره، ويحتاج كل شيء إليه، وأنه قادر على كل شيء، حكيم لا يخطئ، عليم لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، غالب لا يقهر، ولا يعصى له أمر، يستمد منه كل شيء في هذا الكون أسباب حياته ورزقه. وهذه الصفات كلها لا بد أن تكون مجتمعة في ذات واحدة هي ذات الله المهيمن على الكون كله، لا ينازعه أحد، ولا يعجزه أحد، إنه الله لا إله إلا هو. ومن هنا ندرك أن جميع الموجودات في هذا الكون لا تتمثل فيها صفات الألوهية فكلها محتاجة لغيرها، مغلوبة على أمرها تحيا وتموت، تصلح وتفسد، تتغير ولا تبقى على حال واحدة، وهذه علامات على أنها مألوهة، وليست إحداها بإله وأنها مربوبة، وليست إحداها برب، وذلك هو معنى العبودية، الذي يشمل جميع الموجودات، وفي مقدمة هذه الموجودات الإنسان، الذي خلقه الله في أحسن تقويم، وأسجد له الملائكة، وزينة بالعقل والإرادة، وجعله في الأرض خليفة، ووجه إليه خطاب التكليف بواسطة الأنبياء والمرسلين حتى يكون عابداً لله، محبا له يفعل ما يحبه الله، ويتجنب ما يُبْغِضُ الله، وينقاد لأحكام شريعة الله، يحل ما أحل الله، ويحرم ما حرم الله.

التقويم

١ – وضح معنى الألوهية.

٢ – اذكر الفرق بين الربوبية والألوهية.

٣ – علل لما يأتي مستشهداً على ذلك من الكتاب.

أ – إن وحدانية الله لازم من لوازم الألوهية.

ب– إن الكمال المطلق لله وحده لازم من لوازم الألوهية في ذاته وصفاته وأفعاله.

جـ– إن الفاعلية المطلقة لله وحده لا ينازعه أحد في ملكه.

٤ – وضح مقتضى الإيمان بالألوهية.

٥ – اشرح مدلول الآيات على ضوء مافهمت من الدرس:

أ – قال تعالى:

﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾﴾ [الإسراء]

ب– وقال تعالى: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم]

جـ– وقال تعالى:

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّارُ ﴿٦٦﴾﴾ [ص]

وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص]

الدرس الرابع

النبوة والرسالة

الأهداف

يتوقع من الطالب بعد الانتهاء من الدرس أن :

١ – يبين معنى النبوة والرسالة .
٢ – يوضح العلاقة بين النبوة والرسالة .
٣ – يوضح معنى المعجزة .
٤ – يشرح اقتران المعجزة بالنبوة والرسالة .
٥ – يدلل على أن محمداً (ﷺ) النبي الخاتم .
٦ – يبين عقوبة المدعين للنبوة .

الأنبياء والمرسلون يختارهم الله ليبلغوا رسالة الله إلى الناس، ويدلونهم إلى الطريق الذي يحبه الله ويرضاه .

والنبوة والرسالة لاتكون إلا في فئة منتقاه من البشر بلغت مبلغاً عظيماً في سلم الكمال البشري طبقاً لما يحبه الله ويرضاه وفي هذا الدرس نتعرف معنى النبوة والرسالة، ودلائل النبوة والرسالة، كما نتبين أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم هو سيد المرسلين وخاتمهم .

معنى النبوة والرسالة

النبوة اختيار الله سبحانه وتعالى لعبد من عباده بتنزيل الوحي عليه من أجل هداية الناس وإرشادهم .

أما الرسالة فهي تكليف الله نبياً من أنبيائه بإبلاغ شريعته للناس . ولذلك فالرسول لا بد أن يحمل شريعة جديدة إلى الناس بخلاف النبي فإنه يدعو إلى شريعة من قبله من الرسل ويصحح أخطاء الناس في فهم الرسالة السابقة؛ وسنوضح معنى النبوة والرسالة من خلال النقاط الآتية :

١– لا بد أن نُسَلِّم بأن أمر النبوة ليس عملاً يُكْتَسَب بالجد والسعي واستخدام الذكاء؛

ولكنه اختيار واصطفاء من الله تعالى لعبد من عباده للقيام بمهمة النبوة والرسالة، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾[الحج:٧٥]

٢- إن الله سبحانه وتعالى حينما يختار أحداً من عبيده لهذه المهمة فإنه يتكفل بإعداده وتأهيله ليصبح مؤهلاً ومستعداً لتحمل أعباء النبوة والرسالة، كما قال تعالى في حق الرسول موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ٣٩﴾[طه]، وقال لنبيه وحبيبه محمد عليه الصلاة والسلام:

﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾[الطور:٤٨] ومثل ما قال لموسى عليه الصلاة والسلام: ﴿فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾[طه] قال للحبيب المصطفى عليه وعلى آله الصلاة والسلام: ﴿كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ١٩﴾[العلق] وقال له:

﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ١﴾[المزمل] إلى غير ذلك من التوجيهات الربانية التي تستدعي تتابع الإعداد والاستعداد لاستكمال تهيؤ النبي أو الرسول لحمل أعباء النبوة والرسالة.

٣- إن الاصطفاء والاختيار الإلهي لا يتم بناء على مكانة اجتماعية سابقة أو لشخص مرهوب الجانب، وإنما لعلم الله بأن هذا المكلف أهل لحمل هذه الرسالة كما قال الله عزوجل: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾[الأنعام:١٢٤] وعندما اعترض مشركو قريش على اختيار الله محمداً نبياً رسولاً رد الله عليهم قولهم كما حكى عنهم بقوله تعالى:

﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ٣١ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ﴾[الزخرف:٣١-٣٢]

خصائص الأنبياء والمرسلين

للأنبياء والرسل خصائص يمتازون بها عن سائر الناس وهذا ماسنبينه في الآتي:

١ – الأنبياء والرسل يمثلون ذروة الكمال البشري في صفاتهم وخصائصهم.

٢ – إنهم يمثلون ذروة العبودية في طاعتهم وقربهم من الله تعالى.

٣ – إنهم متجردون تجرداً كاملاً لله تعالى فلا يستغلون هذه المكانه لكسب مجد شخصي لذواتهم وإنما هم منفذون لأمر الله سبحانه وتعالى كما قال عز وجل:

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادٗا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩﴾[آل عمران]

وقال تعالى :

﴿لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾﴾ [النساء:١٧٢]

٤ – إنهم قدوة للناس في صفاتهم، وأخلاقهم، وأفعالهم، والتزامهم بعبادة الله تعالى، ومطابقة أقوالهم لأفعالهم .

٥ – هم قادة الأمم، يجب على الناس اتباعهم وطاعتهم .

٦ – هم شهداء على الناس يوم القيامة بأنهم سَمعوا بلاغهم وبيانهم، شهداء على من أطاع، وشهداء على من عصى .

المعجزات

يحتاج كل نبي أو رسول إلى دليل أو برهان عقلي أو حسي يثبت به للناس المرسل إليهم أنه رسول من عند الله وليس بمدع للنبوة والرسالة، وأن ما جاءهم به من البلاغ صدق وحق من عند الله؛ ولذلك فإن الله تعالى يؤيدهم بالمعجزات والمعجزة هي الأمر الخارق للعادة الذي يظهر على يد الرسول أو النبي، سواء تمت المعجزة بناء على طلب من المدعوين أم بدون طلب، ولذلك فإن من مميزات المعجزة الآتي :

١ – أن يتحقق كونها من الأمور الخارقة للعادة المألوفة في نظام الكون .

٢ – أن تكون صورة التحدي فيها واضحة لقومه بأن يأتوا بمثل ما جاء به إن كانوا في شك من صدق هذه الشهادة الربانية بنبوته .

٣ – أن تعجز الأمة وجميع البشر عن الإتيان بمثلها على الصورة الخارقة التي تم تحديهم بها .

حقائق عن المعجزة

أ – مع أن ورود المعجزة لمن طلبها يستدعي التسليم والإيمان بنبوة النبي ورسالة الرسول، إلا أن كثيراً من الأمم لم تستجب للحق رغم وضوح الأدلة والبراهين عناداً واستكباراً، وهذا يدل على أن المعجزات المادية الحسية التي يؤيد الله بها أنبياءه ورسله ليس بالضرورة أن تكون سبباً في إيمان الناس؛ وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ۚ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾﴾ [الإسراء]

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٨٣﴾ [آل عمران]

ب- إن معجزات الأنبياء السابقين لم تكن من جنس رسالتهم، فإذا كان الإنجيل هو المتضمن رسالة عيسى فإن المعجزة كانت الطب؛ ورسالة موسى هي المتضمنة في التوراة ومعجزته العصا، وكما نرى هناك فرق بين الرسالة والمعجزة؛ وامتاز محمد عليه الصلاة والسلام بأن جعل الله معجزته ورسالته شيئاً واحدا وهو القرآن الكريم لا ينفصل أحدهما عن الآخر، و معجزات الأنبياء السابقين كانت مرهونة بمواقف محددة، وأزمنه محددة، ولم تتكرر، في حين أن معجزة النبي الخاتم تتكرر بتكرر الأزمان وتتلون بتلون الحضارات والبيئات؛ فالقرآن الكريم معجزة متجددة ومستمرة إلى يوم القيامة؛ فهو معجزة لغوية وبيانية، ومعجزة اجتماعية وسياسية واقتصادية، وهو معجزة في العلوم الكونية والطبيعية.

جـ- إن المعجزة لا صلة لها بعالم الأسباب؛ فليست أثرا عن علم أو تجربة أو قانون، ولكنها تأتي بقدرة الله الذي يقول للشيء كن فيكون، فالماء الذي نبع من الحجر الصلب في حق موسى، وَنبْعُ الماءِ من بين أصابع الحبيب المصطفى أمر إلهي وليس شيئاً ناتجاً عن علم أو ذكاء أو قدرة عقلية من الرسول.

دـ- إذا ظهرت أمور يظن أنها خارقة على يد شخص من العلماء العاملين المعروفين بالزهد والورع بغير دعوى منه وإعلان لهذه الحوادث الخارقة ولاتحد للآخرين؛ فإن هذه تعد من قبيل الكرامات التي اختص الله بها عباده الصالحين؛ فإن ظهرت مثل هذه الأمور على يد رجل ادعى الولاية والصلاح وادعى الزهد والورع وأعلن للناس أنه تحدث له خوارق فإن ذلك يعد من قبيل الدجل والشعوذة وخداع الناس؛ وكذلك إذا ظهرت على يد الجهلة والفساق ودعاة البدع والخرافات.

النبي الخاتم

النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، رعاه الله وحماه منذ كان في عالم الأصلاب؛ فقد تنقل عليه الصلاة والسلام من صلب طاهر إلى رحم طاهر حتى أُلقِيَ بذرةً طيبةً مباركةً في رحم السيدة العفيفة آمنة بنت وهب (أمه)، ثم رعاه الله منذ

لحظة ولادته فأدبه وأحسن تأديبه وامتن عليه بهذه الرعاية، قال تعالى:

﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝٥ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨﴾ [الضحى]

وعندما تطاول خصومه عليه مثل أبي جهل الذي نهاه عن الصلاة علنا أمام الكعبة تولى الله الرد عنه، قال تعالى:

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ۝١٠ أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ۝١٢ أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٣ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ۝١٧ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ۝١٨ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ۩ ۝١٩﴾ [العلق] وعندما اشتد إيذاء عمه أبي لهب وزوجته أم جميل أنزل الله فيهما قوله تعالى:

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤﴾ [المسد] وعندما تشفَّى بعض المشركين في وفاة ابنه القاسم عليه السلام، أنزل الله تعالى:

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝٣﴾ [الكوثر]

إلى غير ذلك من الآيات التي وفرت مدداً من الفيض الإلهي لتربية رسول الله وتأديبه وإعداده لمواجهة تبعات الرسالة ومقارعة خصومه.

لقد تربى رسول الله خاتم الأنبياء والمرسلين في بيئة بعيدة عن معابد اليهود والنصارى، وحماه الله من الوقوع في رذائل الوثنية الجاهلية، كما حماه من تحريفات وضلالات أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وأباطيل فلسفات الشرق من عبدة النارفي فارس وغيرها، لأن رسالته التي كلف بتبليغها جاءت رفضاً لكل الرذائل والضلالات والأباطيل وتصحيحاً لمسار الإنسانية كلها في الاتجاه إلى الله وتعمير الأرض طبقاً لمراد الله تعالى؛ وخاطب القرآن المؤمنين به في كل زمان ومكان بقوله:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ﴾ [المائدة:٥٧]

فلم يجلس إلى معلم لا من العرب ولا من العجم حتى تلقى النبوة صافية مصفاة

عن رب العالمين بعد أربعين سنة من التربية والتعليم والرعاية الإلهية؛ فكانت رسالته خاتمة الرسالات الإلهية وأكملها على الإطلاق، وناسخة لجميع الرسالات السابقة قال تعالى:

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[المائدة:٣]

عقاب من ادعى النبوة:

بعد انبلاج فجر النبوة ظهرت في جزيرة العرب شخصيتان إحداها في اليمن ويدعى الأسود العنسي، والأخرى في نجد ويدعى مسيلمة الكذاب، وقد كان ادعاؤهما للنبوة بدافع التطلع إلى الزعامة والتمجد حسداً منهما وغيظاً أن كانت النبوة في قبيلة قريش، وقد استطاع اليمنيون المؤمنون التخلص من العنسي وملاحقة أتباعه وإخماد نيران الفتنة في صفوفهم، في حين أخمد الله فتنة مسيلمة الكذاب على يد جيش الإسلام المنطلق من المدينة المنورة؛ وفي حق مدعي النبوة والرسالة سواء كان هذين أو غيرهما في كل زمان ومكان، أنزل الله آيات تنذرهم بالعذاب الشديد، وتصور حالهم عند الموت وهم يلاقون الشدائد والأهوال، قال تعالى:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأنعام]

التقويم

١ – اشرح معنى النبوة والرسالة .
٢ – وضح معنى المعجزة .
٣ – بين علاقة المعجزة بالنبوة والرسالة.
٤ – اذكر شروط المعجزة .
٥ – حمى الله رسوله ﷺ ورعاه وهو في صلب أبيه حتى بعثه الله تعالى، وضح ذلك.
٦ – لماذا وُصِفَ رسول الله بالنبي الخاتم . وضح ذلك؟
٧ – ما العقوبات التي أعدها الله لمدعي النبوة.
٨ – علام تدل هذه الآيات في ضوء ما فهمت من الدرس؟

* قال تعالى :

﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[آل عمران]

* قال تعالى :

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ ﴾[الزخرف:٣١-٣٢]

* قال تعالى :

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[النحل]

* قال تعالى :

﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[الأحزاب:٤٠]

الدرس الخامس

الـوحـي

الأهداف

يتوقع من الطالب بعد الانتهاء من الدرس أن :

١ – يوضح معنى الوحي .
٢ – يذكر مميزات وخصائص الوحي .
٤ – يوضح علاقة العقل بالوحي .
٥ – يدلل على أن القرآن وحي من عند الله .

لا بد أن ندرك أولاً أن الوحي لم يتنزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحده كسابقة تاريخية لم تحصل لأحد من قبله، وإنما سبقه إلى تلقي الوحي مجموعة من الأنبياء والمرسلين السابقين. قال تعالى :

﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾[النساء:١٦٣] ولم يتنزل الوحي على رسول الله سراً وخفية دون أن يشعر به أحد، فقد شهد الصحابة وأزواج الرسول وهو يوحى إليه، وحدثهم عليه الصلاة والسلام عن بدء الوحي وأحواله، وتبينوا من خلال ذلك كله خصائص الوحي، واستقر في أفئدتهم علم اليقين بأن هذا وحي من الله جل جلاله، وتبين لخصوم الدعوة في عصر النبي عليه الصلاه والسلام رغم تكذيبهم وعنادهم أن الوحي حق، وأنه من عند الله جل وعلا، وأن النبي الكريم محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، تلقى هذا الوحي عن رب العزة والجلال فبلغه كما سمعه ووعاه، كما قال تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ٦﴾[النمل]

معنى الوحي

الوحي كلام الله تعالى المنزل على أنبياء الله ورسله من أجل هداية الناس وارشادهم إلى الهدى والحق، وإبعادهم عن طرق الغواية والضلال، والقرآن الكريم كلام الله المنزل على رسول الله محمد ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام

قال تعالى:

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف:٢] وقال عز وجل: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [السجده] ، وعلى ذلك فالقرآن الكريم المنزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الذي أعجز الفصحاء والبلغاء والشعراء والحكماء والفلاسفة وحي من الله تعالى وهو المعجزة الخالدة والشاهد الأعظم على أن رسالة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، يقيناً من الله رب العالمين.

خصائص الوحي:

الوحي الإلهي المنزل على قلب سيد البشر وخاتم الأنبياء والمرسلين له عدة خصائص نذكر منها ما يلي:

١- حدث غير متوقع من قبل المصطفى للرسالة، فقد طرأ على حياة رسول الله دون تطلع منه أو استشراف إليه، فقد فاجأه ملك الوحي وهو في عزلته وبلغه بالنبوة في عملية مفاجئة رجع بها إلى زوجته خائفاً وَجِلاً مما حصل له، ويتابعه ملك الوحي وهو في فراشه يستحثه على أمر النبوة والرسالة بقول الله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾ [المزمل] ، وفي هذه الآيات بلاغ بأن الوحي سيتواصل وأن عليه أن يستعد لاستقباله بمزيد من التقرب إلى الله.

٢- مستقل عن ذات رسول الله، جاء إليه من خارج ذاته؛ بدليل خوفه منه في أول اتصاله به، ثم استأنس به بعد ذلك وتعلق به، ولما تأخر عنه الوحي فترة من الزمن حزن لذلك حزناً شديداً، وقد لاحظ ذلك جمع من أحبابه وأعدائه، فخلَّف هذا التأخر يقيناً لدى الملاحظين بأن الوحي ليس اختراعاً من قبل محمد ﷺ ولكنه من عند الله تعالى؛ ولوكان من عنده لما أصابه الحزن على تأخره عنه وتعريض نفسه لأقاويل المشركين بأن ربّ محمدقد قلاه فأنزل الله تعالى:

﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ [الضحى] ولقد طلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، من جبريل متابعة زيارته له وعدم الانقطاع عنه فنزلت الآية:

﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ۝٦٤﴾ [مريم]

وقصة قريش في السؤال عن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح ووعد الرسول في الإجابة عن السؤال في اليوم التالي دون أن يقول إن شاء الله، فتأخر الوحي نحوا من خمس عشرة ليلة حتى تكلم بذلك المشركون من أهل مكة

وقالوا وعدنا محمد غدا واليوم مضت خمس عشرة ليلة ولم يخبرنا بشيء مما سألناه، ثم نزل الوحي بعد ذلك مجيباً على ما سألوه. فلو كان الوحي من عند محمد لما حصل هذا التأخر والانقطاع، ولما كان في حاجة لتعريض نفسه لتخرصات المشركين.

٣- ملزم لرسول الله بأن يبلغ الناس بكل ما أنزل إليه قال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ﴾[المائده:٦٧]

وقد قام محمد ﷺ بإبلاغ ما أوحي إليه، ولو كان عتاباً له كما حدث في قوله تعالى:

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾[آل عمران:١٢٨]

في قصة الانتقام لمقتل عمه حمزة بن عبدالمطلب والتمثيل به، ومثل قوله تعالى:

﴿مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنفال]

وغير ذلك من الآيات التي نزلت وحيا من الله تعالى وبلغه للناس، مما يدل دلالة قوية على إلزامية البلاغ؛ ولو كان اختراعا من عند نفسه لما بَلَّغ الناس بآيات العتاب له.

٤- يتنزل من أجل تغيير تصورات الناس وقيمهم الخلقية والاجتماعية، وتكوين إطار عقائدي وتشريعي لتنظيم معايش الناس وعاداتهم وتقاليدهم وأساليب فض منازعاتهم، والحسم في خصوماتهم، ومناهضة العقائد الفاسدة التي دأبت على التعلق بغير الله، وتكريس ظلم الإنسان للإنسان؛ ولذلك لا يتنزل الوحي إلا على من أدبه ربه فأحسن تأديبه دون اعتبار للمال والجاه العريض، سوى الفطنة ورجاحة العقل، والتنزه عن صغائر المنكرات وكبائرها، مع الالتزام بالصدق والأمانة والشجاعة.

٥ – الوحي القرآني خاصة تكفل الله تعالى بشأنه حفظا، وجمعاً، وبيانا، وكان عليه الصلاة والسلام شديد الحرص على استيعاب ما يوحى إليه، وكان يخشى أن ينسى منه عبارة أو كلمة، مما كان يدعوه إلى متابعة جبريل عليه السلام في التلاوة آية آية وكلمة كلمة ليستوثق من أن شيئاً لم يفته، لذلك تنزل عليه الوحي القرآني يُعَلِّمُه كيف يتلقاه وكيف يتلوه ولا يخشى عليه من التفلت، فأمر حفظه متروك لله تعالى فهو وحده يهيء سبل جمعه وسبل حفظه وطرائق بيانه

١ – البخاري كتاب التفسير، عن ابن عباس.

للناس قال تعالى:

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [القيامة] وقال تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه] وهيأ الله أناساً يتعلمون القرآن ويعلمونه الناس، ويبينون معانيه ويشتغلون بالعلوم والمعارف التي انبثقت عن هذا الوحي المبين.

علاقة الوحي بالعقل

نزل الوحي (القرآن) على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يخاطب عقول الناس ويحرك دافع الاكتشاف والبحث في المجهول، واستنطاق الدلالات للوصول إلى الحقيقة، ويستثير قدرات العقل ويدفعه للتأمل والتفكر في صفحات الكون ويقول:

﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس]

إن العقل يحلل ويفسر ويبين ويوضح الكثير من المعلومات التي تصل إليه بواسطة الحس ويستنتج معلومات جديدة، وقد لا يكون بمقدور الحس تزويد العقل بمعلومات عن أشياء لعدم إدراكها في عالم الحس ودخولها في عالم الغيب، فإن سبيل الحصول عليها لا يكون إلا عن طريق الوحي، فتتغذى مدارك العقل بمعارف الوحي وتستنبط منها معلومات مهمة يستفيد منها في معرفة ما خفي عليه مما يتعلق بأمور الغيب؛ وعلى هذا لا غنى للعقل عن الوحي كما أنه لا غنى للوحي عن العقل، فالعقل مناط التكليف وعليه مدار التأمل والتفكر والإبداع ولا مجال لتناقض الوحي والعقل أو تعارضهما.

القرآن وحي من الله:

أشاع مشركو مكة أن هذا القرآن ليس وحياً من عند الله، وأنه كلام من أساطير الأولين، ثم قالوا إن رسول الله ﷺ شاعر وكاهن، زاعمين أن ما يأتيه وما يتنزل عليه إنما هو من قول الشعراءوالكهان؛ على اعتبار أن لهم صلات بالجن يمدونهم بعلم فوق حدود البشر وطاقاتهم، ويرد عليهم الله عز وجل فِرْيَتَهُمْ وتَخَرُّصَاتِهِمْ ويكشف ادعاءاتهم فيقول تعالى:

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [الحاقة]

وكانت إشاعاتهم هذه تصطدم بعين الحقيقة فيراجعون أنفسهم ويردون على ما طرحوا من إشاعات وشبهات؛ فقد نفى كل من الوليد بن المغيرة، والنضر بن الحارث، وعتبه بن ربيعة هذه الشبهة في مجالسهم التي كانوا يكيدون فيها للإسلام،

ويحاولون فيها إثناء الناس عن رسول الله، ثم وصفوا القرآن بأوصاف تجعله فوق مستوى الشبهات، قال عتبة بن ربيعة لقريش بعد أن سمع من رسول الله صدر سورة فصلت: إني سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانه، وقال الوليد بن المغيرة بعد أن سمع شيئاً من القرآن من رسول الله: «والله إن لقوله الذى يقوله لحلاوة، وإن عليه لطلاوة وإنه لمثمر أعلاه، ومغدق أسفله، وإنه ليعلو ولايعلى عليه، وإنه ليحطم ما تحته» ومع ذلك استمروا في تشبثهم بالوثنية عناداً وكبراً، ولذلك قال الله عنهم:

﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ٣٣﴾ [الأنعام] ، وما كان لمحمد ﷺ أن يتقول على ربه لأن الله يمنعه كما جاء في سورة الحاقة:

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ٤٥ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ٤٦ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ٤٧﴾ [الحاقة]

التقويم

١ – وضح معنى الوحي.

٢ – اذكر مميزات الوحي.

٣ – دلل على أن الوحي زاد العقل.

٤ – وضح كيف أن القرآن منزل من عند الله.

٥ – اشرح الآيات الآتية في ضوء ما فهمت من الدرس.

أ – قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ١ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ٢ نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ٤ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ٥﴾ [المزمل]

ب– قال تعالى:

﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام:١٢٤]

جـ – قال تعالى:

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ١٥﴾ [يونس]

الدرس السادس الإعجاز العلمي في السنة النبوية

الأهداف

يتوقع من الطالب بعد الانتهاء من الدرس أن :

١- يبين مفهوم الإعجاز العلمي في السنة .
٢- يوضح تحقق الإعجاز العلمي في السنة .
٣- يشرح أهمية دراسة الإعجاز العلمي في السنة .
٤- يبين اهتمام العلماء بتكوين الجنين في بطن أمه .
٥- يشرح نماذج من السبق العلمي للسنة النبوية

يعد إخبار السنة النبوية المشرفة بحقائق علمية لا يمكن تعلمها أو إدراكها بأي وسيلة بشرية في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم إعجازاً علمياً، وبينة من بينات النبوة والرسالة تؤكد أن ما أخبرنا به وحي من الله تعالى علمه الله إياه، كما قال تعالى : ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥﴾[النجم] ثم تتأكد الحقيقة العلمية بثبوتها بوسائل العلم التجريبي في العصر الحاضر بعد مرور أكثر من أربعة عشر قرناً، وفي هذا الدرس نتناول مفهوم الإعجاز العلمي في السنة النبوية، وفوائد دراسته، وأمثلة من المعجزات العلمية في السنة النبوية المشرفة .

مفهوم الإعجاز العلمي في السنة

أن يقول رسول الله قولا يكشف فيه عن حقيقة أو حقائق لا يدركها أهل ذلك الزمان بوسائل التعلم البشرية العادية، ثم تثبت هذه الحقيقة العلمية مع تقدم العلوم التجريبية، بوسائل العلم الحديثة كما أخبر بها عليه الصلاة والسلام قبل أكثر من أربعة عشر قرناً . تلك الحقيقة العلمية أو الحقائق يطلق عليها معجزة علمية لأنها فاقت مدارك الناس وقدراتهم العقلية في الزمن الذي قيلت فيه والبيئة التي ولدت فيها، ولا يمكن لأحد الوصول إلى إدراك حقيقتها بالوسائل البشرية العادية المتوفرة في ذلك الوقت .

تحقق الإعجاز العلمي في السنة النبوية :

وردت أحاديث كثيرة أشارت إلى حقائق علمية، تتعلق ببعض الأسرار الخفية

والدقيقة عن الخلق والنشأة، وكيفية التخلق، ووصف بعض الأمراض وتعليل أسبابها، والتحذير من مخاطرها، وهذه الحقائق غير متوافقة مع ما هو شائع في البيئة العربية من تراكمات معرفية في حينها، وبعيدة عن متناول مدارك الناس وفهومهم، وظلت هذه الحقائق التي أخبر بها الرسول قبل أربعة عشر قرنا لا تشد انتباه الناس كثيراً، حتى ظهرت وسائل العلم الحديثة فكشفت عن صدق ما قاله عليه الصلاة والسلام، وأكدته، فكان إبرازها في هذا العصر وثبوتها شاهداً جديداً على صدق الرسول، وصدق الرسالة، وبرهانا أكيدا على وجود المرسل وهو الله سبحانه وتعالى؛ وأصبح الإعجاز العلمي في السنة النبوية إضافة جديدة إلى علوم النبوة والرسالة المحمدية، ووسيلة من وسائل الدعوة إلى الله لتثبيت قلوب المؤمنين وهداية الجاحدين والمتشككين.

أهمية دراسة الإعجاز العلمي في السنة

تتجلى أهمية دراسة الإعجاز العلمي في السنة النبوية في أنه إضافة جديدة إلى علوم الإنسان ومعارفه، وتتحدد الأهمية على وجه الخصوص فيما يأتي:

١- يزود المسلم بنوعين من الثقافة: **الثقافة الشرعية**، حيث يقف المسلم على خلفيات الحكم الشرعي، ولطائف الأخلاق الإسلامية، والتسامي الروحي والوجداني؛ **والثقافة العلمية**، حيث يقف المسلم على بعض أسرار الكون بتفسيرات بعيدة عن النزعة المادية التي تفسر نشأة الكون تفسيراً مادياً بعيداً عن الخالق جل وعلا، كما يتعرف أسرار مخلوقات الله وتوظيف ذلك لمصلحة المسلمين فيما يقوي إيمانهم ويستثير مكامن القوة الحضارية في مجتمعاتهم.

٢- يستفيد المسلم وغير المسلم من هذه الدراسات؛ فالمسلم يقوى إيمانه ويزداد يقينه، وغير المسلم يثبت لديه أن الإسلام هو الحق، وأن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة مصدرهما الوحي المنزل على رسول الله من الله رب العالمين.

٣- دعوة للمسلم إلى بذل الجهد والعمل للتعمق في العلوم الدنيوية وفهمها، واعتبارها الوسيلة المثلى لتحقيق الخلافة في الأرض.

٤- تحصين الشباب المسلم من حملات التشكيك في القرآن الكريم والسنة التي يقودها المبشرون والمستشرقون وغيرهم لإخراج المسلمين من دينهم.

٥- أسلوب جديد للدخول إلى القلوب والعقول معاً من خلال ما تقدمه دراسات الإعجاز من إقناع عقلي ومسلمات علمية، وخاصة عند الذين يؤمنون بالعلوم المادية وسيلة وحيدة للإقناع في عصر التقدم العلمي.

٦- يدخل الإعجاز العلمي للقرآن الكريم والسنة في مفهوم الحكمة في باب الدعوة إلى الإسلام، فقد أثبت الواقع تأثر كثير من غير المسلمين من المتخصصين في مجالات العلوم الدنيوية، فدخل عدد غير قليل منهم في الإسلام.

ونظراً لأهمية دراسة الإعجاز العلمي في السنة نورد فيما يلي نموذجاً من الدراسات العلمية التي أكدت صدق ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم، قبل عصر الاكتشافات العلمية بقرون.

١- قال عليه الصلاة والسلام: (إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً فصورها، وخلق سمعها، وبصرها، وجلدها، ولحمها، وعظامها، ثم قال: يا رب أذكر أم أنثى فيقضى الله ما يشاء ويكتب الملَك)[١]

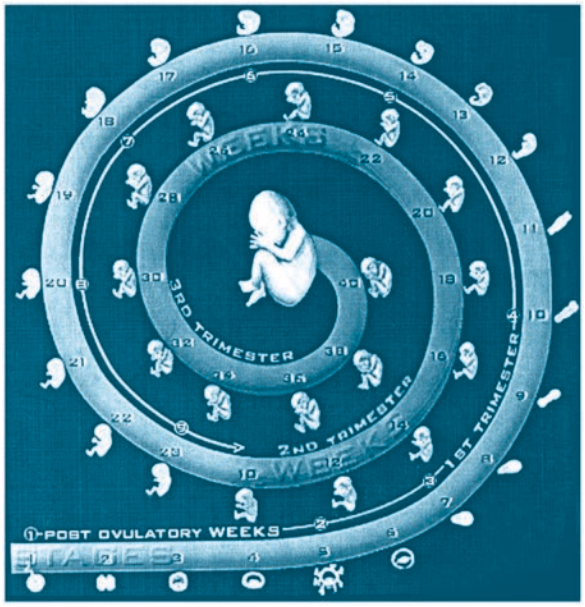

مراحل خلق الجنين

نلاحظ في هذا الحديث أنه حدد ليلة معينة من عمر الجنين يدخل بعدها الملك فيشكل جسم الإنسان بأمر الله تعالى، وهي ليلة اثنتين وأربعين ليلة، فتظهر الصورة الآدمية، ويبدأ ظهور الأذن، وجهاز السمع، وظهور العين وجهاز البصر، ثم يتكون الجلد الذي يحمي جسم الإنسان من الجراثيم والميكروبات، ثم تتكون العظام، ثم تتشكل الأعضاء التناسلية.

إن هذه الحقيقة العلمية التي وردت في الحديث النبوي أكدتها البحوث التجريبية الحديثة؛ حيث أثبت كبار علماء الأجنة والوراثة في أمريكا بأن الجنين قبل اليوم الثاني والأربعين لا تكون صورة الوجه واضحة، وأن العين والأذن والأعضاء التناسلية لا تشبه أعضاء الإنسان قبل اليوم الأربعين؛ كما أثبت أحد علماء أمراض النساء والأجنة في كندا تَكَوُّن الهيكل العظمي الغضروفي عند حوالي اليوم الثاني والأربعين من عمر الجنين.

وقد توقف علماء الأجنة والوراثة في أوروبا وكندا وأمريكا عند اليوم الثاني

١ - مسلم، كتاب القدر.

والأربعين في دراساتهم وأعطوه أهمية خاصة لظهور البدايات في تشكل الجنين وبروز شكله الآدمي. وهكذا نجد التطابق جلياً بين ما أخبرنا به الحبيب المصطفى ﷺ وبين معطيات العلوم الحديثة في تخصصات أمراض النساء وعلم الأجنة، وعلم الوراثة مما يجعل هذه المكتشفات العلمية الحديثة بينات جديدة على صدق النبي الخاتم محمد سيد المرسلين، وأن العلم الذي تلقاه وأخبرنا به وحي من الله تعالى.

ولعل مثل هذه الإشارات عن بعض الحقائق العلمية في السنة النبوية وما تتضمنه من إعجاز ليس موجهاً لأهل ذلك الزمان،؛ فالعرب زمن البعثة النبوية لا يفقهون من أمر مثل هذه الحقائق شيئاً، وكذلك الحال بالنسبة للروم وغيرهم؛ فالإعجاز إذن موجه إلى العلماء التطبيقيين في عصر الاكتشافات ليؤمنوا برسول الله ويصدقوه، ويذعنوا بأن الذي قال هذا قبل أكثر من ألف وأربعمائة عام رسول من عند الله حقاً.

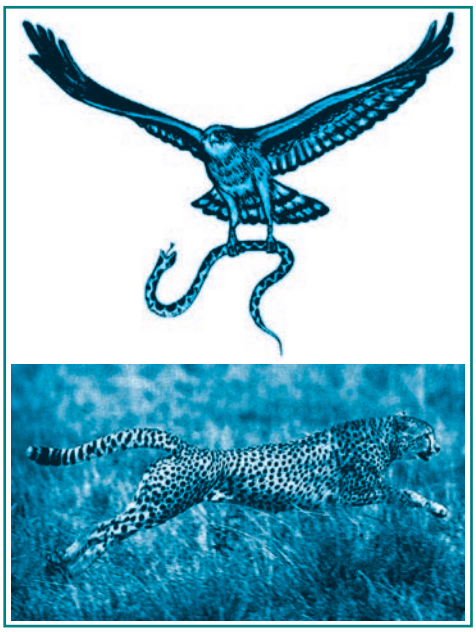

٢- حديث «حُرِّم على أمتي كل ذي مخلب من الطير، وكل ذي ناب من السباع»[١] أكد العالم البريطاني (سليبنج) في دراسات أجراها أن الشعوب آكلات لحوم الجوارح تصاب بنوع من الشراسة والميل للعنف ولو بدون سبب، وأن بعض الآدميين من أكلة لحوم الجوارح يصابون بالضراوة فيأكلون لحوم البشر، وأشارت الأبحاث إلى حدوث ظاهرة الفوضى الجنسية وانعدام الغيرة، وعدم احترام نظام الأسرة، ومسألة العرض والشرف عند هؤلاء الناس.

٣- حديث «ما ملأ ابن آدم وعاءً شراً من بطنه بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا بد فاعلا فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنَفَسه»[٢] توصل العلم الحديث إلى أن كثرة الأكل يؤدي إلى السمنة التي تعتبر خللا في التمثيل الغذائي، وأشارت البحوث العلمية الحديثة إلى أهمية التوازن في تناول الطعام والشراب

١ – مسلم كتاب الصيد والذبائح.

٢ – الترمذي، وكتاب، الزهد، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل.

وهذا ما أشار إليه رسول الله ﷺ في هذا الحديث وهو مصداق قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾[الأعراف]، وقد كثرت الأبحاث في العصر الحديث التي تناولت وقاية الجهاز الهضمي، وأوردت عدداً من الأمراض التي يصاب بها الإنسان نتيجة عدم التوازن في الأكل.

فمن الذي علم الحبيب المصطفى هذه الأمور التي ما استطاع البشر معرفتها، والوصول إليها بوسائل بحثهم وتجاربهم في العصر الحاضر، بينما أعلنها الرسول ﷺ قبل أربعة عشر قرنا من الزمن، وما كان محمد ﷺ إلا بشراً رسولاً، فما من إجابة إلا أن ذلك مما علمه ربه، وأوحى به إليه خالق السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة.

وصدق الله القائل: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾[النساء]

التقويم

١ – اشرح مفهوم الإعجاز العلمي في السنة النبوية.

٢ – وضح أهمية دراسة الإعجاز العلمي في السنة.

٣ – لماذا اهتم علماء الأجنة والوراثة في دراساتهم باليوم الثاني والأربعين من عمر الجنين؟

٤ – اشرح السبق العلمي في قول الرسول ﷺ «إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكا فصورها، وخلق سمعها وبصرها...».

٥ – بين وجه الاعجاز فيما يأتي:

أ – قول الرسول ﷺ: (حُرِّم على أمتي كل ذي مخلب من الطير، وكل ذي ناب من السباع).

ب– قول الرسول ﷺ: (ما ملأ بن آدم وعاء شراً من بطنه).

الدرس السابع

العلم والإيمان

الأهداف

يتوقع من الطالب بعد الانتهاء من الدرس أن :

١ – يوضح معنى العلم .
٢ – يبين أهمية العلم في حياة الإنسان .
٣ – يوضح علاقة العلم بالإيمان .
٤ – يذكر نماذج من أفكار الربط بين العلم المادي والدين .
٥ – يوضح العلاقة بين الإيمان والتفوق المادي .
٦ – يستشعر عظمة الله وأن علمه سبحانه محيط بكل شيء .

العلم صفة من صفات الله تعالى، تتعلق بعلم الله المحيط بكل شيء، وغير محدود زماناً أو مكاناً، وقد ميز الله الإنسان بالعلم على سائر المخلوقات، وهو علم يناسب قدرته، وإمكاناته، وحاجاته، فقد علم الله الإنسان علماً يعينه على مهمة الخلافة في الأرض، لما يترتب على ذلك من سهولة في التعامل، والتفاهم، قال تعالى :

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [البقرة] أي أعطاه القدرة على الرمز بالأسماء للمسميات، أي تسمية الأشخاص، والأشياء، وذلك هو أساس بناء الحضارات، فالعلم أساس متين في سلامة بناء الحياة الدنيا، اذا كان مقترناً بالإيمان بالله تعالى موصولابه، أما إذا خلا العلم من الإيمان فإنه يحول السعادة إلى شقاء والنعيم إلى جحيم، وهذا ماسنلمسه من خلال فقرات هذا الدرس .

معنى العلم

العلم إدراك الأشياء على ماهي عليه في الواقع بحيث ينتج عنه اعتقاد جازم لتطابق المعلوم مع الواقع والحقيقة ، ونقيض العلم الجهل، وقد يكون الجهل بسيطاً ويقصد به عدم العلم بالأشياء، وقد يكون مركباً ويقصد به الاعتقاد الجازم غير المطابق للواقع. وبالتأمل في قصة الخلق الأول، نجد أن العلم عنصر أصيل من عناصر

تكوين الإنسان المعنوية؛ فأصبح أهلا للتكريم الإلهي بالعلم، وأصبح جديرا بسجود الملائكة له بالعلم، وأصبح أهلا لرسالة الخلافة في الأرض بالعلم؛ فبتعليمه أسماء المسميات أودع الله فيه قوة علمية تجعله مستعداً لتعاطي العلوم والمعارف والبحث عن حقائق الأشياء وخواصها والانتفاع بها، وتطويع ما يستطيع الوصول إليه لخدمة تحقيق أهداف الخلافة في الأرض. فأصبح العلم بالنسبة للإنسان هو الطريق الموصل إلى معرفة الله والإيمان به، وقيمة لإدراك أهمية التقنيات الكبرى في معرفة أسرار الوجود كله.

أما الجهل فهو قيمة سلبية تجعل صاحبها يرتكب حماقات تجعله مثار التندر والسخرية من أصحاب العلم والعقل الراجح، ولننظر مثلاً إلى بني اسرائيل وموقفهم مع موسى عليه السلام فيما حكى الله عنهم، قال تعالى:

﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨﴾[الأعراف] فجهلوا حقيقة الإيمان بإله واحد كما علمهم سيدنا موسى عليه السلام، وجهلوا بأن قولهم ذاك يخرجهم من دائرة المؤمنين إلى دائرة الكافرين. أما قوم نوح فقد طلبوا منه طرد الفقراء المؤمنين من مجلسه حتى يستجيبوا له ويؤمنوا بما جاء به من أمر الرسالة كما حكى القرآن عنهم قال تعالى:

﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ٢٩﴾ [هود] جاهلون بمعيار التفاضل بين الناس، حين زعموا بأن هؤلاء الفقراء أراذل، وهم في حقيقة الأمر خير منهم، لإيمانهم بالله ورسوله، فهذا يعد من الجهل الذي يؤدي إلى الضلال والخسران المبين. وقد وقف مثل موقف بني إسرائيل أهل مكة من مُسْلِمةَ الفتح وكانوا حديثي عهد بالإسلام حينما خرجوا مع الرسول لمواجهة هوازن في حنين فرأوا المشركين وهم يتبركون بشجرة يعلقون فيها رماحهم وسيوفهم يطلبون منها النصر فقالوا «اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط» فتعجب الرسول من طلبهم وشبهه بطلب بني إسرائيل من موسى المذكور في الآية السابقة. ومثل هذه المواقف مواقف بعض العلماء الماديين الذين يريدون معرفة الله بواسطة المعامل والمختبرات حتى أعلن أحدهم أنه لم يجد دليلاً علمياً على وجود الله أو صدق الرسول أو وجود الملائكة!! فهذا العلم يصدق عليه الجهل، لأنه يتنافى مع الحقيقة ولايتطابق مع الواقع ، وعلى ذلك فجميع التصورات الخاطئة والنتائج المبنية على مقدمات مضللة لاتعد من قبيل العلم بل هي

جهل محض، ولذلك أشار القرآن الكريم إلى عدم التسوية بين العالمين والجاهلين فقال تعالى:

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ۝٩﴾[الزمر]

العلم بوابة الإيمان

لقد بدأ نزول الوحي على الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام في ليلة القدر المباركة، فكان أول نزول للوحي يتلقاه الرسول الكريم أمراً بالقراءة، وتنويهاً بالكتابة، في إشارة كريمة لها دلالة عظيمة، أن تكون القراءة باسم الله الذي بيده مفتاح العلم الذي هو قطرة من بحر علمه الواسع المحيط، قال تعالى:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾[العلق] وهذه آيات تمثل منهج العلم في الإسلام في ربطه بالله تعالى وأن العلم في الحقيقة، هوالعلم الموصل إلى الله؛ فكانت هذه الآيات بحق عنوان الرسالة المحمدية وحجر الزاوية فيها ونتبين في الفقرة التالية قيمة العلم لدى علماء المسلمين وغيرهم.

قيمة العلم عند المسلمين

لقد ارتفعت قيمة العلم عند المسلمين حتى أصبح العلم قرين الإيمان، والعلماء هم المؤمنون، ويحدد القرآن بعض صفات العلماءالذين أوصلهم العلم إلى الايمان:

١- العلماء في قمة العُبَّاد الذين يتجهون إلى الله، يخافون من يوم القيامة، ويرجون من الله رحمته، قال تعالى:

﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ۝٩﴾[الزمر]

٢- من صفاتهم العدل في أقوالهم وأفعالهم واستنتاجاتهم وفتاواهم وأحكامهم، ونقدهم للأفكار والنظريات، قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران:١٨]

٣- يلجأون إلى الله في حالتي الرخاء والشدة، وخشيتهم لله تعالى تجعلهم لا يخشون أحدا من الناس غير الله تعالى، فما كسبوه من العلم مرتبط بالله سبحانه قال تعالى:

﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾[المائدة:٣]

٤ – العلماء يدلون الناس على الخير، فيصلون الناس بربهم وخالقهم ويرشدونهم إلى الطريق القويم في تعاملاتهم الأسرية والاجتماعية، ويكونون عونا في زيادة إيمانهم ورقة أخلاقهم، فالعلم يرتقي بالإنسان إيماناً وخلقا، قال تعالى في حق هؤلاء العلماء: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت] هذا هو موقف العلماء ورثة الأنبياء الذين أوتو العلم بالنظر في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وعملوا بما علموا.

الإيمان والتفوق المادي

لاعلاقة للإيمان أو الكفر بالتفوق، المادي بل مدار ذلك على نشاط الإنسان وجهده وعمله ولايخلو الإنسان من الاتجاه في إحدى المسارات الآتية :

١– مسار يتجه به نحو الحياة الدنيا وحدها، وينغمس به في ملذات الحياة الدنيا ومطامعها ولهوها، وهذا لا يتطلع إلى عالم الروح ولكنه يعيش في عالم الأجساد ويتعلم علوماً لا تساعده على الارتقاء قلبا وروحاً، بل تساعده فقط على التفنن في عالم الشهوات والملذات؛ فيدرك ما يطلبه في هذه الحياة الدنيا، دون نظرة إلى الآخرة.قال رب العزة والجلال :

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾﴾ [الإسراء] ، ويقول في مثل هذا الإنسان :

﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾ [الحجر]

٢– المسار الثاني وهو الذي يتجه بصاحبه نحو الآخرة فقط والابتعاد عن مطالب الحياة الدنيا، وهو أمر لا يشجعه الإسلام، فقد رفض عليه الصلاة والسلام ما أقدم عليه النفر الذين أرادوا أن يكونوا أكثر عبادة من رسول الله فأقسم أحدهم أن يقوم الليل ولا يرقد، وأقسم الثاني أن يصوم الدهر ولا يفطر، وأقسم الثالث أن لا يتزوج النساء، فخطب فيهم عليه الصلاة والسلام مؤكداً رفضه لما نووا القيام به وقال :« أما إني أصلي وأرقد، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني[1] » فلا رهبانية في الإسلام لأنه دنيا وآخرة شعاره قول الله تعالى :

﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ [القصص:٧٧]

١ – اخرجه : البخاري كتاب النكاح عن ابن مسعود.

٣- المسار الثالث يتجه بالإنسان نحو الدنيا والآخرة معا فيسير في الحياة وهو مؤمن بالله يدعوه بقوله تعالى :

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [البقرة]

فيطلب الحسنة في الدنيا بما تحمله من عافية وبيت رحبة ورزق واسع وعلم نافع، وعمل متقبل، وأولاد صالحين، وثناء جميل، وقوة مادية تحمى الأوطان وتبنيها. ويطلب الحسنة في الآخرة، مثل السلامة من عذاب القبر والأمن من الفزع الأكبر. ودخول الجنة، وهذا يقتضي تيسير أسبابه في الدنيا من اجتناب المحارم والآثام، وقد قال أحد العلماء في ذلك: من أعطي قلبا شاكرا، ولسانا ذاكراً، وجسداً صابراً فقد أوتي في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، فتكون الدنيا متاحة أمام الإنسان مع قوة إيمانه وصدق يقينه، فيسعى للآخرة ولا يحرم نفسه من ملذات الدنيا وطيباتها، قال تعالى:

﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإسراء]

التقدم المادي متاح للمؤمن والكافر:

إن عطاء الدنيا لا يمتنع على من طلبه وبذل جهده في تحصيله، والتفوق المادي ليس محصوراً في المؤمنين، ولا مقتصراً على الملحدين الكافرين، بل هو متاح لكل الطالبين الراغبين قال تعالى:

﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾ [الإسراء]

ويمتاز المؤمن على الكافر بأن يضع الله في ماله البركة فينمو نمواً طيباً، ويستفيد منه الفقراء والمساكين، ويتم به إعمار الأرض على تقوى من الله ورضوان. أما الكافر فإنه غالباً يستخدم قوته المادية في الإفساد في الأرض وقهر الناس وإذلالهم، ويستحوذ على ثروات الآخرين . ولذلك إذا لم يكن العلم مصاحباً للإيمان فإنه يورد الإنسان موارد الهلاك ويورث الأرض دمارا وخراباً.

التقويم

١– ما معنى العلم ؟
٢– العلم مكون من مكونات الإنسان، كيف تفهم ذلك ؟
٣– اشرح العلاقة بين العلم والإيمان .
٤– اذكر نماذج من أفكار الربط بين العلم المادي والدين.
٥– وضح العلاقة بين الإيمان والتفوق المادي.
٦– على أي شيء تدل الآيات الآتية؟ وضح ذلك على ضوء مافهمت من الدرس.

* قال تعالى :

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق]

* وقال تعالى :

﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد]

* وقال تعالى :

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ ﴾ [الروم:٥٦]

* وقال تعالى :

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر]

الدرس الثامن

أثر الإيمان في حياة الفرد

الأهداف

يتوقع من الطالب بعد الانتهاء من الدرس أن :

١- يبين أن الإنسان مخلوق مكرم .
٢- يبين أن الإيمان يوقظ الشعور بالإحساس .
٣- يبين قرب الإنسان من ربه سبحانه وتعالى .
٤- يوضح أثر الإيمان في سعادة الفرد .
٥- يوضح أثر الإيمان في سكينة النفس واطمئنانها .
٦- يشرح العلاقة بين الإيمان والأمن .
٧- يبين العلاقة بين الإيمان والأمل .
٨- يوضح أثر الإيمان في ثبات الفرد .

الإنسان كائن عظيم القدر، وذو منزلة عالية عند الله، علاقته بالله وطيدة، منذ نشأته الأولى وهو في كنف الله ورعايته، ميزه الله بالعلم والعقل والإرادة، وجعله محورا للكثير من المخلوقات، فكان لإيمانه بالله ودوام صلته به أثر بارز في حياته . هذا ماسنلمسه من خلال فقرات هذا الدرس .

الإنسان مخلوق مكرم

الإنسان مخلوق كرمه الله، فخلقه في أحسن تقويم، وصوره فأحسن صورته، ونفخ فيه من روحه، وميزه بالعلم والعقل والإرادة، وجعله خليفة في الأرض وأسجد له الملائكة، وجعله محور النشاط في الكون الفسيح، فكل ما في الكون مسخر له ولخدمته، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة، واختص الله هذا الإنسان بميزة كبيرة من بين سائر المخلوقات بأن جعله خالصاً له وحده، يتوجه إليه وحده، ويتلقى بيان ما يضره وما ينفعه منه وحده،ويسعى إليه وحده، ويدعو إليه وحده، جاء في الحديث القدسي (ابن آدم خلقتك لنفسي، وخلقت كل شيء لك، فحقي عليك لا تشغل بما

خلقته لك عما خلقتك له).[1]

ورغم أن الإنسان ضئيل بالنسبة لسعة الكون من حيث حجمه وحياته الجسمانية؛ لكنه كبير من حيث روحه وكيانه المعنوي، كما قال الشاعر في ذلك:

وتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

قرب الإنسان من الله

إذا كانت عملية تكريم الله للإنسان امتدت لتشمل كل ما لا يخطر على بال أي مخلوق؛ فإن هناك مزية أخرى للإنسان يحصل عليها بإيمانه بالله تعالى وزيادة تعلقه به، وهي قربه من الله تعالى وقرب الله منه، يقول الله تعالى:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦]

وفي الحديث القدسي « أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني: إذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه، وإن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إليّ ذراعاً تقربت إليه باعا وإن أتاني يمشي أتيته هرولة »[2]. هذا القرب يجعل المؤمن في اتصال دائم بالله في أي وقت وتحت أي ظرف بدون حاجة إلى وسطاء.

سمو الشعور والإحساس

الإيمان يوقظ الشعور ويستجيش الأحاسيس فيسمو بالإنسان، ويرتقي به عقلاً وقلبا وروحاً؛ فيتولد عن ذلك الشعور بالآتي:

أ – الانتماء إلى أمة الإيمان وأن عليه واجب تسديدها وشد أزرها وتجميعها على الحق والعدل، قال تعالى:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران:١١٠]

وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة:١٤٣] فالمؤمن يشعر بأنه جزء من الأمة الوسط التي لا تنحرف عن الحق إلى طريق الضلال ولا تخرج عن الحق بالمبالغة في طلبه.

---

١ – اخرجه :البخاري

٢ – أخرجه البخاري كتاب التوحيد جـ٩ ص١٤٨ ومسلم في كتاب التوبة . عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ب- العزة بالله، وهذا الإيمان يجعله يشعر بالعزة التي سجلها الله في كتابه للمؤمنين مقرونة بالعزة لله ولرسوله، فقال تعالى:

﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[المنافقون:٨]

وهذه العزة تجعل المؤمن لايدارى، ولا يداهن، ولا يتخفى في إيمان، بل يعلن ذلك على رؤوس الأشهاد، ويدافع عن مواقفه الإيمانية بكل ثبات وثقة.

جـ- الحرية والكرامة، وهذا الشعور المرتبط بالإيمان يجعله كارهاً للظلم والاستعباد غير راضي بالدونية، وعندما يتكالب أعداء الله عليه من كل حدب وصوب فإنه يكون واثقاً من استعلائه، وأنه لا يمكن أن يستعلي عليه أحد من أعداء الله مهما كانت قوته المادية، ثقة بوعد الله له، قال تعالى:

﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾[النساء]

د - يشعر المؤمن بأنه في ولاية الله ورعايته، يعينه وينصره ويهديه ويحميه، قال تعالى:

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾[محمد]، ويقول تعالى:

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾[غافر]

السعادة الدائمة للمؤمن

الإنسان دائماً يبحث عن السعادة ولا يوجد أحد يبحث عن الشقاء لنفسه، لكن أين تكمن السعادة الدائمة؟ وكيف يمكن للإنسان أن يحصل عليها، هل هي في الأولاد والأحفاد والأموال؟ أم في الجاه والمنصب والسلطة؟ كثير من الناس جربوا ذلك ولكن الحقيقة أن السعادة لايحوزها إلالمؤمنون الصادقون. وذلك ما يمكن إبرازه في الآتي:

سكينة النفس: القلب الهادئ، والنفس المطمئنة، والتوازن الانفعالي، لاتكون إلا في الإنسان المؤمن الصادق، وذلك مايطلق عليه سكينة النفس، فأكثر الناس قلقاً واضطراباً وشعوراً بالحرمان والضياع هم المحرومون من نعمة الإيمان، قال تعالى:

﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾[الرعد]

والمؤمن يشعر بالسكينة لعدة أمور منها :

١ - أنه اهتدى إلى مايتوافق مع فطرته؛ فعرف نفسه وعرف ربه، ومن عرف نفسه وعرف ربه فلا يقلق ولايضطرب ولايشعر بالحرمان والضياع، قال تعالى:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ﴾[الروم:٣٠]

٢ – إن الإيمان بالله جعله يعرف سر وجوده، ومعرفة سر الوجود تعنى امتلاك الإجابة على أهم سؤال من الأسئلة المؤرقة للإنسان (لماذا خلقت؟)، وذلك أهم باب من أبواب سكينة النفس المؤدية إلى السعادة، كما قال تعالى:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[الذاريات]

٣ – معرفة المؤمن بالعلاقة بينه وبين المخلوقات من حوله، فكما أنه عبدلله كذلك مَنْ حَوْلَهُ عبيدلله، فعلاقة العبودية لله تجمع بينه وبين كل المخلوقات، فالعلاقة القائمة بين الإنسان والكون علاقة وئام وانسجام لاعلاقة خصام، وهذا يغمر القلب بالسكينه والاطمئنان، قال تعالى:

﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾[الإسراء:٤٤]

– **الرضى بما قُدِّر من الرزق:**

الرضى بما قسم الله من الرزق يجعل الإنسان المؤمن يعيش في سعادة دائمة؛ لأنه يشعر أن ماقُدِّر له سوف يأتي إليه؛ فيظل بعيداً عن الطمع والحرص الشديد الذي يدفع إلى الحقد والحسد والإفراط والغلو في طلب الدنيا .وهذا ما أشار إليه الحديث النبوي الشريف « يايها الناس اتقوا الله وأجملو في الطلب، فإن نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها وإن أبطأ عنها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، خذوا ما حلَّ حل ودعوا ما حَرُم »(١).

– **الإيمان والأمن:**

الناس يخافون من أشياء كثيرة يخافون من الفقر، ويخافون من المرض، ويخافون من الموت، يخافون من الأعداء المتربصين، ولكن المؤمن لا يتسرب إليه الخوف إلا من الله تعالى؛ يخاف أن يكون قد فرط في حق الله تعالى أو اعتدى على أحد من خلق الله، أما الناس فلا يخافهم؛ لأنهم لا يملكون له ضراً ولا نفعاً ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، وفي هذا الجانب يمكن أن نركز على النقاط الآتية:

– **الخوف من الفقر:**

المؤمن لا يخاف من الفقر فإنه يؤمن بأن الله سبحانه قد تكفل بالرزق فقال عز وجل: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ﴾[العنكبوت:٦٠] ويقول تعالى:

﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾[الذاريات]

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه

ومع هذا الإيمان فإن المؤمن يسعى لطلب الرزق ويبذل جهده في سبيل تحصيله ممتثلاً أمر الرزاق في قوله تعالى: ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ﴾[الملك:١٥]

يعلم أن ما قُدِّرله سوف يأخذه، فلا داعي للاحتيال والغصب وكسب المال الحرام، فإن كسبه الحلال سيبارك الله له فيه ويرزقه من حيث لايحتسب.

الخوف من الموت:

المؤمن لا يشغل نفسه بهم الموت والخوف على الحياة بل يستمر في العمل في هذه الحياة مؤمناً بأن الله وحده الذي خلق الموت والحياة قُدِّر له أياماً معدودة يعيش فيها وحدد له أجلا لا يتجاوزه، ينتهي إليه فيموت؛ قال تعالى:

﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗۖ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ٦١﴾[النحل]

ولذلك فالمؤمن لا يتهيب ولا يخاف من الموت؛ لأنه قد أعد من الأعمال ما يجعله يطمئن إلى لقاء ربه ونيل رضوانه.

الإيمان والأمل

المؤمن أكثر تفاؤلاً وأوسع أملاً وأبعد ما يكون عن التشاؤم واليأس، إنه يشعر بأنه عبد لمعبود يجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء ويفرج كرب المكروبين وهم المهمومين، ويقبل توبة التائبين، أرحم بعباده من الوالدة بولدها، يجزي بالحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف أو يزيد، ولا يجزي بالسيئة إلا مثلها، فالمؤمن – لذلك– لا يصاب بالإحباط، ولا يشعر بخيبة الأمل ولا يعتريه اليأس، مهما أشتدت عليه الأمور وتوالت عليه الأزمات، فهو يعلم أن الإحباط واليأس ملازمان للكافرين، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾[يوسف:٨٧]

إن باب الأمل يجعل الإنسان المؤمن يسير في حياته بخطى واثقة، فلا يتعثر ولا يكبو، ويواصل عمله في خدمة نفسه وأمته ودينه، وكلما سدت أمامه طرق فتح الله له طرقاً أخرى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا ٦﴾[الشرح]

التقويم

١– اشرح أثر الإيمان في سعادة الفرد

٢– الإيمان بالله تعالى يجعل المسلم مطمئن النفس هادئ البال. وضح ذلك بالأدلة العقلية والنقلية .

٣– بين أثر الإيمان في ما يأتي :

أ – الأمن.

ب– الأمل.

٤– وضح مدلول الآيات القرآنية الآتية في ضوء مافهمت من الدرس.

* قال تعالى : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[المنافقون:٨]

* قال تعالى : ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾[النساء]

وقال تعالى:﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾﴾ [الذاريات]

* قال تعالى :

﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾[الذاريات]

* قال تعالى : ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[يوسف:٨٧]

الدرس التاسع أثر الإيمان في حياة المجتمع

الأهداف

يتوقع من الطالب بعد الانتهاء من الدرس أن :

١ – يبين أثر الإيمان في شيوع الأخلاق الكريمة .
٢ – يوضح أثر الإيمان في تحقيق التعاون والتراحم والتناصر .
٣ – يوضح علاقة الإيثار بالإيمان
٤ – يوضح أثر الإيمان في سلامة المجتمع .
٥ – يبين أثر الإيمان في تماسك المجتمع .
٦ – يوضح أهمية الإيمان في تحقيق العدل .

المجتمع قوامه الفرد والأسرة، فكلما تغلغل الإيمان في نفوس الأفراد تكونت أُسر قوية تحتكم إلى قواعد الإيمان، ويربط بينها رابط الإيمان؛ فيتكون منها مجتمع يوحد الإيمان بين أفراده وجماعاته، ويؤلف منظومة واحدة تقوى فيها آصرة الحب وتنمو فيها شجرة التعاون والتناصر والتراحم . وفي هذا الدرس نتعرف أثر الإيمان في حياة المجتمع في النقاط الآتية :

شيوع الأخلاق العامة

الإيمان والأخلاق صفتان متلازمتان، فإذا كان الإيمان عملاً قلبيا فإنه لا بد أن ينعكس عمل القلب على عمل الجوارح بحيث يتحول الإيمان إلى مواقف حقيقية والتزام خلقي؛ فيكون المؤمن – مثلاً– صادقاً في أقواله وفي أفعاله، والصدق ليس عملا فرديا فحسب، ولكنه عمل اجتماعي أيضاً، لأنه تعامل مع الآخرين . ومثل ذلك بقية الالتزامات الخلقية مثل : الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعقود والعهود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد بالمال والنفس، والإحسان إلى الجار، وغيرها من الأخلاق الفاضلة التي تمثل قيما اجتماعية تؤثر في حركة المجتمع وتكون بيئة صالحة لتماسك المجتمع، وسلامته واستقراره، ولذلك ربط الرسول عليه الصلاة والسلام بين شهادة أن لا إله إلا الله وبين إماطة الأذى عن الطريق

كالتزام خلقي ينشر الخير في جميع أركان المجتمع، كما جاء في الحديث «الإيمان بضع وسبعون أو ست وسبعون شعبه أعلاها شهادة أن لإله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق »[1] فسريان الإيمان في المجتمع ينتج عنه انتشار الأخلاق، مما يحقق للمجتمع حياة طيبة.

التعاون

التعاون سمة اجتماعية ينخرط فيها المؤمنون بقصد سد حاجة المحتاجين وكسر شوكة الظالمين، ومناصرة المظلومين، ورفع شأن المستضعفين قال الله تعالى :

﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٢﴾ [المائده]

وهو خطاب موجه للمؤمنين، فالتعاون ثمرة إيمانية عندما يتم على أساس البر والتقوى، وإذا تم التعاون بدافع الإثم والعدوان فإنه لا يعد ثمرة من ثمار الإيمان، وإنما يكون ثمرة الهوى والشيطان؛ وذلك مثل التعاون بقصد إلحاق الضرر بالغير، فإن المتعاون يجعل في حسابه تحقيق هذا الهدف، فإذا لم يتحقق يحجم عن العمل التعاوني ولو كان فيه تحقيق مصلحة عامة للمجتمع.

الإيمان وحده يجعل المجتمع نسيجاً واحدا يتعاون أفراده لتحقيق الخير، بصرف النظر عن تحقيق أي مصلحة شخصية، فالمجتمع المتعاون يؤدى واجبه في المحافظة على عدم المساس بما جاء به الشرع ويشكل كيانا كليا يراقب أفراده ويوجههم عن طريق شيوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويقي أفراده من الانحرافات التي يمكن أن تؤدي إلى انهيار المجتمع ودماره .

الإيثار

الإيمان يعلو بصاحبه عن كثير من الرذائل الخلقية، ويجعل منه إنساناً متفاعلاً مع غيره؛ يحس بآلام الآخرين، فيتنازل عن حقه لسد حاجة الآخرين في ما يتصل بالأمور الدنيوية، وهذا ينشأ عن شدة محبة الغير، والقدرة على احتمال المشاق، وفيه كسر لروح الأنانية المفرطة في حب الذات؛ ولذلك يكون الإيثار أرقى درجة من التعاون حيث إن المتعاون يمد يد المساعدة بقدر جهده، لكن المؤثِر ينسى نفسه ويقدم غيره، فإذا تنازعت حاجته مع حاجة غيره قدم حاجة غيره على حاجة نفسه، وإذا كانت

١ – أخرجه : البخاري كتاب الايمان باب امور الإيمان عن أبي هريرة رضي الله عنه .

هناك مصلحة للغير ومصلحة للنفس فإنه يقدم مصلحة الغير على مصلحة النفس، وبالأحرى فهو يقدم المصلحة العامة على المصلحة الشخصية، وقد لامس المسلمون هذا القدر من الإيثار وأشار إليه القرآن في ثنائه على الأنصار، فقال تعالى:

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ [الحشر]

الإيمان والأمن الاجتماعي

الأمن على الدين ، الأمن على النفس، الأمن على العقل، الأمن على العرض، الأمن على المال، هذه الخمس تشكل منظومة متكاملة لبناء مجتمع متحد تظلله السكينة والاطمئنان والاستقرار، ويوفر الإنسان في ظلها طاقته وجهده لخدمة المجتمع. وإذا سَرَتْ في أفراد المجتمع روح الإيمان أمن كل فرد من أفراده على نفسه فأصبح آمنا في سِرْبه معافى في بدنه لا يخشى كيد كائد ولا غدر متربص، فإذ تجبر عليه ظالم غشوم، أو بطش به خارج عن سبيل المؤمنين؛ فإن جميع أفراد المجتمع بدافع الإيمان يكونون مطالبين بأن يأخذوا له حقه ممن ظلمه، والقضاء الشرعي يتولى بالنيابة عن المجتمع الأخذ بزمام المبادرة، فلا يعتدي أحد على أحد، ولا يتجرأ في التربص به أو إخافته، أو إقلاق راحته وسكينة.

الحد من الجريمة

الإيمان وازع قوي يمنع صاحبه من الوقوع في الجرائم والخطايا، فإذا همَّ بارتكاب شيء من ذلك تذكر رقابة الله، وتذكر قدرة الله عليه، وتذكر عقابه، فارتدع وانزجر، ورجع عمَّا همَّ به، وهكذا تقل الجريمة في المجتمع المؤمن، ومع ذلك فإن بشرية الإنسان وتعرضه لنوازع الهوى وإغراءات الشيطان، ومروره بحالات من ضعف الإيمان، قد توقعه في بعض الآثام وتهون عليه ارتكاب بعض الجرائم، غير أن إيمانه ما يلبث أن يعود إلى قوته وسرعان ما يستيقظ ضميره، ويندفع إلى تسليم نفسه للمحكمة الشرعية، والاعتراف بما ارتكب من جريمة، ويطالب بتوقيع العقوبة المناسبة بدافع من إيمانه وقوة يقينه بأن في ذلك تطهير له من آثار الإثم وكفارة له عن ذنبه، وقد وقع مثل هذا في عهده عليه الصلاة والسلام، في قصة ماعز الذي اعترف بجريمة الزنى فحاول معه عليه أفضل الصلاة والسلام، ليصرفه عن هذا الاعتراف حتى لا يتحمل العقوبة،

ولكن ماعزاً كان يصر على الاعتراف برباطة جأش وقوة يقين، وأمام إصرار الرجل، يصدر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حكماً بإقامة الحد عليه، فيتقبله صابراً محتسباً راغباً في عفو الله ومغفرته؛ وقصة المرأة الغامدية قصة مشهورة في تاريخ المجتمع المسلم الأول السالم والمعافي من تفشي الجريمة وانتشارها؛ فقد اعترفت المرأة بجريمتهاوظلت على موقفها تطالب بإقامة الحد عليها مدة سنتين وبضعة أشهر، حتى جاءت بالوليد بعد فطامه فسلمت وليدها مؤمنة صابرة محتسبة ممتثلة لأمر الله، ويقام عليها الحد رجماً حتى الموت، وهي فرحة مسرورة بما أقدمت عليه من تكفير للذنب وتطهير من الإثم.

الإيمان والعدل:

العدل قيمة كبرى، يستظل تحت شجرتها الوارفة المؤمنون بكرامة الإنسان وحريته، ينتجها إيمان بالله الذي لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون، العدل رأس كل القيم الكبرى، يتسع ليشمل الحقوق والواجبات الدائرة في محيط الإنسان، فردا، وأسرة، ومجتمعاً، وفي حياتنا الإسلامية نماذج من الحكام صدقوا في إيمانهم فكانوا أمثلة يحتذى بهم، ومنهم عمر بن عبد العزيز الذي كان يخرج مناديه ينادي في كل يوم: أين الغارمون ؟ أين الراغبون في الزواج ؟ أين اليتامى؟ أين المساكين؟ حتى أغنى كل هؤلاء جميعاً، وأغنى كل من خدم في سلك الدولة، فأدى الناس واجباتهم، وأخذوا حقوقهم، وخلت ساحات المحاكم من المتخاصمين، والسجون من المجرمين، كل ذلك بفعل إيمان الحاكم وعدله، الذي لم يكن دافعه سوى رضى الله تعالى، وتحقيق مصالح العباد.

فالحكم بين الناس بدافع الإيمان بأن ما أنزل الله فيه الحق والعدل، يختلف كثيراً عن الحكم بدافع الهوى، والرغبة في التسلط، فالحاكم المؤمن يبتغي من وراء منصبه وجه الله تعالى ونفع المسلمين، ويتخذ من قول الله تعالى:

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾ [المائدة:٨]

شعارا له، ويتخذ من قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ﴾ [النحل:٩٠]

منهاجاً له في أسلوب الحكم والإدارة.

التقويم

١– الإيمان والأخلاق صفتان متلازمتان. لماذا؟

٢– دلل على ما يأتي من الكتاب والسنة:

أ – التعاون.

ب– الإيثار.

جـ – الأمن الاجتماعي.

د – الإيمان والحد من الجريمة.

٣ – الحكم بين الناس بدافع الإيمان يختلف عن الحكم بدافع الهوى والرغبة في التسلط. كيف تفهم ذلك؟

٤– وضح مدلول الآيات القرآنية الآتية في ضوء فهمك للدرس:

* قال تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يوسف]

* قال تعالى:

﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ﴾ [الأنعام:١١٤]

* قال تعالى:

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر]

* قال تعالى:

﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائده]

الدرس العاشر

التوكل على الله

الأهداف

يتوقع من الطالب بعد الانتهاء من الدرس أن :

١ – يبين معنى التوكل .
٢ – يشرح أثر التوكل في تحرير الإنسان من الخوف .
٣ – يبين العلاقة بين العمل والتوكل .
٤ – يوضح العلاقة بين التوكل والثقة بالله تعالى .
٥ – يبين أهمية التوكل على الله تعالى .

معنى التوكل

هو صدق اعتماد القلب على الله عزوجل في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة، مع تحقق الإيمان بأنه لايعطي ولايمنع ولايضرو ولاينفع غير الله تعالى .

والتوكل باب من أبواب الإيمان بالله تعالى، فإذا ثبت في قلب المؤمن أنه لا فاعل في الحقيقة إلا الله تعالى، وأنه وحده ذو الفاعلية المطلقة، واعتقد جازماً بتمام العلم لله بما ينفع العباد وما يضرهم، والقدرة على كفايتهم والعناية التامة بهم، والعطف والرحمة بهم أفرادا وجماعات، تحققت له الثقة به والاعتماد عليه؛ أي تحقق له التوكل وأصبح وصفاً لازماً غالباً عليه .

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٣﴾[المائدة] وقال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾[التوبة:٥١]

التحرر من الخوف

المؤمن المتوكل على الله يسير في حياته لا يعبد إلا ربه، ولا يخشى إلا ربه، لا يخاف كيد الكائدين ولا حسد الحاسدين، فإذا قرر أن يعمل عملاً استخار الله وشاور من يثق فيهم ديناً وخلقاً وخبرة وعلماً، فإذا استبان له وجه الحق توكل على الله ومضى

في الأمر مقتديا بالرسول الكريم الذي خاطبه الله بقوله: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾[آل عمران] فالتوكل موقف يبدأ بالاستخارة، ثم الشورى ثم العزم، ثم المضي في تنفيذ الأمر توكلاً على الله دون تردد ولا خوف من أي عقبات أو عثرات أو عواقب.

إن المؤمن وهو يتعامل مع أصدقائه وأعدائه، ومع الكفار ومع المؤمنين يتعامل بالصدق مع النفس ومع الناس ومع الله وهو واثق أن الله يجعل لكل عسر يسراً ومع كل ضيق فرجا فيتوكل على ربه ويعلم أن ما قدر له لابد ان يأتي إليه ولو كره الناس ذلك قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾[الزمر:٣٦] ويزداد إيماناً بالله وثقة عندما يقف مواقف التحدي مع أعداء الله وأعداء رسوله وأعداء دين الله، يهتدي بهدي الله القائل: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾[آل عمران] وهذا ما يؤكد أن التوكل على الله يحرر الإنسان من الخوف إلا من الله تعالى، ويجعله يروح ويغدو آمنا لصدق توكله وهو ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾[آل عمران] لما توكلوا على الله كفاهم ما أهمهم، ورد عنهم بأس من أراد كيدهم، فالتوكل يقي الإنسان المؤمن شر الهواجس، ويدفعه إلى الإقدام، ويحرره من الخوف.

التوكل والأخذ بالأسباب

إن من يتوكل على الله لا بد له من السعي والعمل والإنتاج، كما قال الله عزوجل: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾[الملك:١٥]

فالتوكل على الله يقتضي العمل والسعي لتحصيل المراد، كما أن من يسعى ويعمل ليحقق مراده لا بد له من أن يتوكل على الله، ولنتأمل في الحالة الآتية:

إن الله قد فرض عليك الحج مرة في العمر عند الاستطاعة، فإذا لم يتم توفير نفقة الحج ذهاباً وإياباً وبقيت قابعاً في فراشك فهل تستطيع أن تحج؟ وإذا توفرت عندك النفقة ولم تأخذ تأشيرة الحج وقد أصبحت لازمة فهل تستطيع الحج؟ وإذا أخذت التأشيرة ولم تتمكن من الحجز على وسيلة نقل في الوقت المناسب فهل تستطيع أن

تحج؟ إن التوكل يعني ضرورة الأخذ بالأسباب من أجل تحقيق الأهداف، ومن يترك الأسباب ويسمي نفسه متوكلاً، فلا يستقيم إيمانه ولا توكله لأنه مخالف لسنن الله القائمة على ارتباط النتائج بأسبابها.

ويجب على من يتوكل ويأخذ بالأسباب أن يعتقد اعتقاداً جازما بأن تَحَقُّق القصد والمراد ليس من صنع الأسباب؛ وإنما من صنع الله تعالى، وأن تحقق الأشياء بعد الأخذ بالأسباب يتم حسب ما قدره الله وقضاه، فلا يتعلق المؤمن بالأسباب بل يتعلق بخالق الأسباب، فعليه أن يبذل جهده ويسعى وحصول نتائج السعي على الله تعالى، ولذلك شبه رسول الله صدق التوكل في الأخذ بالأسباب بحركة الطير في البحث عن رزقه قال عليه الصلاة والسلام :«لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا»[1] ، ففيه حث على التوكل مع الأخذ بالأسباب، فالغدو والرواح للبحث عن الرزق أخذ بالأسباب، واستعمال لسنة الله في الحياة والأحياء، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، وهكذا ينبغي أن يكون المؤمن في توكله عاملاً ساعياً آخذا بالأسباب.

علاقة التوكل بالثقة بالله تعالى

الثقة بالله محور الارتكاز في دائرة التوكل، ونلاحظ قوة الثقة بالله تعالى في قول الحبيب المصطفي عليه وعلى آله الصلاة والسلام لرفيقه في الغار أبي بكر الصديق رضي الله عنه «ما بالك باثنين الله ثالثهما»[2] وقوله عليه الصلاة والسلام لأبي جندل بعد إبرام صلح الحديبية وكان فيه بند يقضي بعودة من جاء إلى رسول الله من قريش مسلماً إليهم. قال له :« ارجع فإن الله جاعل لك ولمن معك فرجا ومخرجاً»[3] وقد تمثلت هذه الثقة لدى أم موسى التي ألقت وليدها في اليم ثقة بوعد الله كما قص الله عنها : ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۖ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝٧﴾ [القصص] إن الثقة بالله خلاصة التوكل على الله سبحانه وتعالى، فالتوكل يشمل الثقة بالله وتفويض الأمر إلى الله والتسليم لله تعالى. فالشعور الدائم بحماية الله للمؤمن ونصرته له وتأييده، يعمق معاني الثقة بالله،

---

١ – الترمذي٢٣٢٤، وأحمد ٣٠/ ١ ، والبيهقي في شعب باب الإيمان ٣٧٨/ ٣١ عن عمر بن الخطاب رضي عنه.

٢ – البخاري المناقب باب فضائل الصحابة ومسلم كتاب الزهد وأحمد في مسنده.

٣ – رواه البخارى واحمد في مسنده

ويجعل المؤمن موصولاً بالله يعمل ويتحرك ويتكسب ويستمتع بحياته في الدنيا، واثقاً بأن ما أوتي من خير فهو من الله تعالى، وإذا أظلمت عليه الدنيا وجافاه الأصحاب والأصدقاء وتكالبت عليه الأعداء فإنه يلجأ إلى حمى الله سبحانه ويقاوم كل الأحداث ويستشعر قول الحق تبارك وتعالى:

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[البقرة]

فلنتوكل على الله ولنثق بوعد الله؛ ولنردد معاً دائماً قول الحق تبارك وتعالى:

﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[التوبة:٥١]

التقويم

١ – وضح معنى التوكل.

٢ – اشرح كيف يتحرر الإنسان من الخوف.

٣ – العمل والإنتاج من مكونات التوكل، كيف يكون ذلك؟

٤ – وضح العلاقة بين التوكل والثقة بالله تعالى .

٥ – الأخذ بالأسباب لاينافي التوكل على الله. وضح ذلك

٦ – بين علام تدل الآيات الآتية في ضوء ما فهمت من الدرس.

– قال تعالى : ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾[المائدة]

– قال تعالى:

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[البقرة]

الدرس الحادي عشر
الإيمان باليوم الآخر (١)

الأهداف

يتوقع من الطالب بعد الانتهاء من الدرس أن :

١- يبين مفهوم الدار الآخرة .
٢ - يوضح علاقة الدنيا بالآخرة .
٣ - يوضح أحوال الناس عند الموت .
٤ - يبين عذاب القبر ونعيمه .
٥ - يشرح أحوال المؤمنين بعد الموت .
٦- يشرح أحوال غير المؤمنين بعد الموت .

علاقة الدنيا بالآخرة

خلق الله الخلق ليعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، وأرسل إليهم رسلاً يبشرون المؤمنين وينذرون الجاحدين، فتعلم الناس منهم كيف يُسيِّرون حياتهم، وكيف يعبدون الله، وكيف يتعاملون فيما بينهم، لكن الناس من خلال حركتهم الحياتية تفاوتت استفاداتهم من الرسل والأنبياء فمنهم من آمن، ومنهم من عصى وكفر، وقد جعل الله الحياة الدنيا محطة لاختبار العاملين والمقصرين فتحصى الأعمال والمواقف وتسجل، ثم يفارق الإنسان هذه الحياة إلى عالم آخر يجازى فيه كل إنسان حسب أعماله ومواقفه مما جاء به الأنبياء والمرسلون .

أحوال الناس عند الموت

يُعَدُّ الموت المرحلة الأولى من مراحل الآخرة بالنسبة للإنسان الذي يخطو خطواته الأولى على عتبات الأخرى؛ فما إن ينتهي الأجل المحدد له في دار الفناء حتى يبدأ الرحلة إلى دار الخلود والبقاء بانسلال الروح من الجسد .

وتختلف أحوال الناس في الخروج من الدنيا وانسلال الأرواح؛ أما المؤمن فتقبض روحه مقرونة بالفرح لما هو مقدم عليه بعد موته، وأما العاصي والكافر فتقبض روحه مشيعة بالتقريع والتوبيخ قال تعالى في حق المؤمنين:

﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ﴾ [النحل:٣٢]

وأما العصاة والكافرون فقال في حقهم:

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ [الأنفال:٥٠]

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ [الأنعام:٩٣]

عذاب القبر ونعيمه

وعندما يخرج الروح من الجسد يهيأ الميت للإنزال في الحفرة التي أعدت له، فيطرح فيها بدون فراش غير التراب، ولا وسائد ولا مساند ولا لمسات حانية على رأسه من أولاد أو بنات أو زوجة، ويترك نهباً للدود والحشرات كائنا من يكون هذا الإنسان؛ ملكًا أم رئيساً فقيراً أم غنياً.

ثم يخضع الميت للسؤال في قبره، ولذلك ينبغي للمشيعين الوقوف على قبره والاستغفار له بعد دفنه كما جاء في الحديث عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا دفن ميتاً وقف وسأل له التثبيت، وكان يقول: «استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت»[1] وقد وردت أحاديث صحيحه عن السؤال في القبر فعن أنسن بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد صلى الله عليه وسلم؟ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبدالله ورسوله، فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله تعالى به مقعداً في الجنة فيراهما جميعاً، وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، ويضرب بمطارق من حديد ضربة بين أذنيه، فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين»[2] وفي هذا الموقف تحصل الفتنة ويتبين المؤمن الصادق من الكاذب فلا ينطق اللسان الابما امتلأ به القلب، فلنحذر هذه المواقف ونستعذ بالله من عذاب القبر، ونؤمن جازمين بأن الإيمان بعذاب القبر ونعيمه والسؤال فيه جزء من الإيمان باليوم الآخر.

البرزخ هو المرحلة الثالثة

المدة الزمنية الواقعة بعد استقرار الميت في قبره إلى حين يبعث هو ما يسمى بالبرزخ، قال تعالى: ﴿وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون] وخلال هذه المدة يتعرض

١ – الترمذي في نوادر الأصول ٩ عن عثمان بن عفان رضى الله عنه.

٢ – البخاري جـ ٤ ١٣٧/ ١١

المؤمنون والمنافقون والكافرون للسعادة أو الشقاء، ففي الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:

«إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده من الغداة والعشي إذا كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة»[1] وجاء في حق الكافرين قوله تعالى:

﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ﴾[غافر:٤٦] وفي هذه المدة تتحلل الأجساد وتبلى ولا يبقى إلا عجب الذنب؛ إلا أجساد الأنبياء والشهداء، وهذه الأشياء كلها من أمور الغيب التي لا يعلم حقيقتها إلا الله وما أطلع رسوله عليه، وهي داخله مع ذلك ضمن حدود القدرة الإلهية وليس فيها شيء يستحيل على الله تعالى.

والمسلم يجب عليه أن يؤمن بكل ما جاء في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الصحيحة عن الموت وما بعد الموت، ويضرع إلى الله تعالى بأن يجعل خاتمة حياته طيبة، وأن يهون عليه سكرات الموت ويعيذه من عذاب القبر، وينزل عليه نعيمه، وإذا كان قد اقترف إثماً فعليه أن يتوب قبل حلول الأجل.

التقويم

١ – دلل على كل مما يأتي:

أ – علاقة الدنيا بالآخرة.　　ب– أحوال الناس عند الموت.

جـ– عذاب القبر ونعيمه.

٣ – اذكر الفرق بين حال المؤمن وحال الكافر عند الموت موضحاً ذلك بالدليل من الكتاب والسنة.

٤ – البرزخ هي المدة من عنددخول القبر إلى البعث/ وضح مايلاقيه المؤمن ومايلاقيه الكافر في هذه المدة.

٥ – بين مدلول الآيتين الآتيتين والحديث في ضوء مافهمت من الدرس.

– قال تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٠٠﴾[المؤمنون]

– قال تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ﴾[غافر:٤٦]

– وقال رسول الله ﷺ «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده من الغداة والعشي إذا كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإذا كان من أهل النار فمن أهل النار يقال:هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة».

١– متفق عليه واللفظ للبخاري، ومسلم كتاب الجنة جـ٤/ ٦٦/ ٥٦

الدرس الثاني عشر

الإيمان باليوم الآخر (٢)

الأهداف

يتوقع من الطالب بعد الانتهاء من الدرس أن :

١ – يبين ما يحدث بعد النفخة الأولى .

٢ – يبين ما يحدث بعد النفخة الثانية .

٣ – يوضح المقصود بالعرض والحساب يوم القيامة .

٤ – يشرح كيفية عبور الناس على الصراط يوم القيامة .

٥ – يكتب آية تبين مصير الكافرين والمنافقين يوم القيامة .

٦ – يستشهد بآيات من القرآن الكريم على ألوان النعيم في الجنة .

في الدرس السابق تحدثنا عن مرحلتين من مراحل اليوم الآخر، وفي هذا الدرس نتناول أحوال يوم القيامة الذي اعتنى به القرآن وبينه بياناً كافياً، وصوره لنا تصويراً دقيقاً؛ حتى لكأننا نشاهده عياناً، نقرأ عن يوم القيامة في سورة الزلزلة والقارعة والحاقة، والواقعة، والقيامة، والانشقاق، والانفطار، والتكوير وغيرها من السور والآيات التي حفل بها الكتاب العزيز الخالد : القرآن الكريم .

النفخ في الصور

تبدأ المرحلة الأولى من يوم القيامة بالنفخة الأولى في الصور، وعندها يصعق من في السموات ومن في الأرض، فيموت كل الخلائق إلا من شاء الله، ويصاحب ذلك أمور يصعب على الإنسان تصورها، كانفطار السماء، وتناثر النجوم، ونسف الجبال، وغليان البحار، وزلزلة الأرض، وبعثرة القبور، وتبديل الأرض غير الأرض والسموات؛ ثم تأتي النفخة الثانية، ويكون البعث والنشور، ويكون الناس كالحشرات الطائرة تتقاذفها الرياح .

يسيرون حفاة عراة في غاية الذهول والارتباك والحيرة، كما قال عز وجل في وصف هذه المشاهد العظيمة :

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر:٦٨]

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ۝٩ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ ۝١٠ ﴾ [النازعات]

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ۝١٠ ﴾ [القيامة]

ويصور الموقف القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢ ﴾ [الحج]

ومع هذا الهول العظيم فإن هناك من الناس من يبعث على مامات عليه من خير، فالشهيد يبعث يوم القيامة وجرحه ينزف دما، اللون لون الدم، والريح ريح المسك، ويبعث الحاج ملبياً والمؤذن مؤذناً، وكذلك الأشرار يبعثون على ما ماتوا عليه من ممارسات شريرة، قال الله تعالى في حق المؤمنين الصادقين:

﴿ وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ۝١٠٢ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝١٠٣ ﴾ [الأنبياء] ، وقال تعالى في حق المرابين: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ﴾ [البقرة:٢٧٥] ويقول تعالى في حق الكفار والمجرمين:

﴿ وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ۝٣١ ﴾ [الأنعام]

أي حال بعثهم وخروجهم من قبورهم يحملون ما عملوا من أعمال شريره على ظهورهم.

العرض والميزان والحساب

وهذه هي المرحلة الثانية من مراحل يوم القيامة، فبعد البعث يساق الناس سوقا إلى موقف العرض وتظهر لهم أعمالهم عياناً، فلا تخفى خافية من أعمالهم كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ۝١٨ ﴾ [الحاقة]

إنه موقف رهيب لا إنكار فيه، ولا أعذار مفتعلة، ولا تهرب من الاعتراف وتحمل المسئولية كما كان يفعل في الدنيا، ففي هذا الموقف تتحول أعضاء جسم الإنسان إلى شهود، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النور:٢٤]

ويبدأ التلاوم والتحسر والندامة حيث لا ينفع الندم، ويصرخ الواحد منهم كما حكى

الله عنهم:

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان]

ثم ينتهي الأمر في هذه المرحلة، بأن يعرف كل إنسان قائمة أعماله الخيرة والشريرة قال عزوجل:

﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء]

فأما المؤمنون فيتلقون سجلاتهم بأيمانهم، وغير المؤمنين يتلقونها بشمائلهم وهو المشار إليه في قوله تعالى:

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاق�ٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴿٢٩﴾﴾ [الحاقة]

وبعد أن يحاسب الخلق ينصرفون عبر الصراط كل إلى مأواه؛ إما الجنة وإما النار.

العبور على الصراط

الصراط جسر ممتد من أرض المحشر حتى الجنة، وتحت الجسر جهنم، فيمر الناس فوقه؛ منهم من يمر مثل البرق، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالفارس، ومنهم من يسعى سعياً، ومنهم من يمشي مشياً، ومنهم من يحبو حبوا، ومنهم من يزحف زحفاً، وعلى يمينه وشماله كلاليب وخطاطيف تخطف الناس يميناً وشمالاً، والأنبياء والملائكة واقفون على جانبيه يقولون: «اللهم سلم سلم أما أصحاب النار فيدحرجون في جهنم وهم الكفار والمنافقون؛ ومن الناس من يؤخذون بذنوبهم وخطاياهم فيحترقون فيكونون فحماً»[1].

ولذلك فإن العبور على الصراط يعد ميزاناً من موازين الأعمال، وبداية مرحلة

١ – اخرجه البخاري جـ١١ ص ٣١٧ ومسلم يشرح النوى حـ٣ ص١٧

الثواب والعقاب، فعلى متن الصراط يجني المؤمنون جزاء نجاحهم في الحياة الدنيا ليفوزوا بنعيم الآخرة، وأما الطغاة والمتكبرون فينالون جزاء فشلهم في حياتهم الدنيا عذاباً أليماً.

النار وعذابها

نار جهنم مستقر الكافرين والمنافقين، وهي مرحلة نهائية بالنسبة لهم، وقد تحدث القرآن الكريم عن نار جهنم حديثاً مستفيضاً، كما أن السنة النبوية أوضحت أصناف الذين يردون هذا المأوى فيستقرون فيه دائماً أو مؤقتاً، ولكل صنف نصيب خاص من العذاب، فالزناة، وأكلة الربا، وآكلوا أموال اليتامى، والظلمة والجبارون، والمنافقون، والكافرون كل له أسلوب خاص به في العقاب، بل ومقعده وغرفته في نار جهنم، ولنتأمل الآيات الآتية كنموذج لما حفل به القرآن الكريم من حديث عن نار جهنم، قال تعالى:

﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ١٩ يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ ٢٠ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ٢١ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ٢٢﴾ [الحج]

وقال تعالى في حق الذين يقتلون النفس المحرمة بغير حق:

﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ [النساء:٩٣]

وقال في حق الزناه بعد أن وصف المؤمنين بأنهم لا يزنون:

﴿وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ٦٨ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ٦٩﴾ [الفرقان]

أما أكلة الربا فقد قال فيهم:

﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ﴾ [البقرة:٢٧٥]

ولذلك يجب الإيمان بالنار وعذابها فإنها جزء من الإيمان باليوم الآخر، فمن آمن بيوم القيامة ولم يؤمن بالنار وما تشتمل عليه لم يستكمل الإيمان.

الجنة ونعيمها

الجنة هي المقر الدائم الذي أعده الله لعباده المؤمنين الذي وصف الله حالهم في الدنيا بقوله:

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ [الطور] إنهم يخافون من الله فيلجأون إليه ويتقربون منه، ويلتمسون رحمته، أكفهم إليه ممدودة، وقلوبهم إليه مشدودة، فقربهم، وأدناهم، واستجاب دعوتهم، حيث قال كما جاء في الحديث

القدسي: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.. ثم قرأ رسول الله عليه الصلاة والسلام قوله تعالى:

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة:١٧] (١) وقال عزوجل ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ [فصلت:٣١] وقد ورد ذكر محتويات الجنة من النعيم الدائم في معظم سور القرآن الكريم، وكل ما ورد في ذلك إنما هو تشبيه تقريبي حتى تستوعبه العقول، وإلا فالأمر غير ممكن التصور لمحدودية مدركات العقول، وقد جاءت آيات تصور مشاهد من نعيم الجنة مثل قوله تعالى:

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [محمد:١٥] وقوله تعالى:

﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾﴾ [الإنسان]

والآيات كثيرة في وصف الجنة ووصف الساكنين فيها وأحوالهم، حيث لا فزع ولا خوف ولا ضيق ولا ضجر ولا هم ولا غم ولا نصب ولا قتر ولا ذلة ولا غل ولا حقد ولا حسد، حيث يختلط النعيم المادي الحسي بالنعيم المعنوي، وتأتي قمة السعادة بتجلي الله سبحانه وتعالى لعباده وإشعارهم بمحبته ورضوانه، كما قال عزوجل:

﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة]

فهنيئاً للمؤمنين بهذا المقام عند ربهم، وتعساً وسحقاً لمن حق عليهم العذاب الشديد.

---

١ – رواه مسلم عن أبي هريرة.

التقويم

١ – وضح مراحل يوم القيامة .

٢ – اشرح المرحلة الثانية من مراحل يوم القيامة .

٣ – علل لما يأتي .

أ – موقع الصراط .

ب– العبور على الصراط يوم القيامة .

جـ – الجنة مقر المؤمنين يوم القيامة .

د – نار جهنم مصير الكافرين يوم القيامة .

٤ – وضح مدلول الايات الآتية : في ضوء ما فهمته من الدرس .

– قال تعالى : :

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر:٦٨]

– قال تعالى : ﴿يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ ١٨﴾ [الحاقة]

– قال تعالى :

﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ١٩ يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ ٢٠ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ٢١ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ٢٢﴾ [الحج]

– قال تعالى :

﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ﴾ [محمد:١٥]

الدرس الثالث عشر

الـدعـاء

الأهداف

يتوقع من الطالب بعد الانتهاء من الدرس أن :

١ – يبين معنى الدعاء.

٢ – يوضح أهمية الدعاء.

٣ – يوضح آداب الدعاء.

٤ – يبين أن الدعاء من العبادة.

٥ – يذكر نماذج من الأدعية المختارة.

الدعاء باب رحب من أبواب العبودية لله تعالى، وأثره كبير في تقوية الإيمان فكلما قوي طمع العبد في فضل الله ورحمته ورجائه قويت عبوديته لله تعالى، وكلما أقبل قلب العبد على الطلب من الله والرجاء من الله انصرف إلى العبودية وازداد شوقاً للارتقاء إلى كمالها، وتحرر تماماً من عبودية المخلوقين، وفي هذا الدرس سوف نتعرف معنى الدعاء وعلاقته بالإيمان، وصلته بالعبودية، من خلال النقاط الآتية :

مفهوم الدعاء

هو إظهار الافتقار والحاجة إلى الله تعالى، وطلب الحاجات منه باستعطاف وتذلل وخضوع ومناجاة، مع الثقة بأن الله يسمع الدعاء، ويجيب من دعاه.

وعلى ذلك فالدعاء يشمل معاني العبادة والاستعانة والاستغاثة، وهو ثمرة الاستجابة لله بطاعته في امتثال أوامره، واجتناب نواهيه، وتحليل ما أحل، وتحريم ما حرم، والتحاكم إلى شريعته، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[البقرة] فالاستجابة والإيمان مؤهلات للوقوف على باب الله ودعائه ومناجاته، وطلب الحاجات منه، دعوة العبد للمعبود والمخلوق للخالق، والفقير للغني، والضعيف للقوي، والذليل للعزيز.

إن الدعاء لاينا في الصبر، ولاينا في الاستسلام والرضى بقضاء الله وقدره ، فالمؤمن يدعوالله امتثالا لأمره ويوقن بأنه لايقع إلاما قدره الله له.

أهمية الدعاء

أهمية الدعاء تكمن في الآتي:

١ – إنه ثمرة الإيمان والاستجابة لله، ومظهر من مظاهر العبادة.

٢ – الدعاء فيه إظهار حاجة العبد إلى المعبود.

٣ – يوطد الصلة بين الله رب العالمين وبين عباده المؤمنين .

٤ – فيه حسن ظن العبد بالله رب العالمين بالقرب منه واستشعار قرب الله منه

٥ – الدعاء سلاح المؤمن في مواجهة أعداء الله وأعداء عباده المؤمنين.

٦ – يشغل العبد في التفكير بذنبه وطلب المغفرة، وترك البحث عن عيوب الآخرين.

٧ – يضعف غرور الإنسان، ويجعله يصدق ويخلص في عباداته ويتوجه إلى الله بطلب القبول.

٨ – الدعاء يفتح باب الأمل أمام المظلومين والمقهورين، ويشعرهم بأن الله سوف ينتقم من الظالمين ولا يُفْلِتهم.

إجابة الدعاء

وعد الله سبحانه وتعالى عباده بالإجابة لدعائهم إن دعوه والتمسوا فضله وجوده وكرمه؛ فقال تعالى:

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر] وقال تعالى :

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦]

وعن سلمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (إن ربكم كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه بدعوة أن يردهما صفراً ليس فيهما شيء»[١] وقد تأتى إجابة الدعوة مطابقة لطلب الداعى ، وقد يبدله عنها بأحسن منها؛ كأن يدفع عنه ضراً ويصرف منه سوءاً، كما جاء في حديث «ما على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة الاَّ آتاه الله إياها أو صرف عنه من السواء مثلها، مالم يدع بإثم

١ – الترمذي باب اجابة الدعاء وابو داود كتاب استجابة الدعوات والطبراني ٨٨٧ / في الدعاء وحسنه والحاكم وصححه.

أو قطيعة رحم) [1].

آداب الدعاء:

١ – إخلاص النية وإظهار الافتقار والحاجة إلى الله تعالى.

٢ – أن يكون الداعي على يقين من أن الله يستجيب دعاءه لقوله عليه الصلاة والسلام « ادعو الله وانتم موقنون بالإجابة »[2].

٣ – أن لا يستبطئ الإجابة قال عليه الصلاة والسلام « يستجاب للعبد مالم يدع بإثم أو قطيعة رحم مالم يستعجل، قيل يارسول الله ما الاستعجال ؟ قال : يقول قد دعوت فلم أر يستجاب لي، فيستحسر عند ذلك ويَدَعِ الدعاء[3].

٤ – أن لا يمل ولا ييأس بل يستمر في الدعاء ولو لم يلمس الإجابة.

٥ – أن لا يدعو الله بأن يعينه على ارتكاب المحرمات والأعمال المؤدية إلى المعاصي.

٦ – أن يعتقد جازماً بأن الدعاء عبادة لله تعالى.

٧ – أن يقدم قبل الدعاء أعمالاً صالحة وثناء على الله تعالى وصلاة على رسول ﷺ.

٨ – أن يكون توجهه إلى الله بالدعاء ناتجا عن إرادة وقصد وحضور قلب.

٩ – أن لا يطلب من الله أشياء تخالف سنة الله في الخلق، كأن يدعو ألا يميته الله أبداً.

١٠– أن يصاحب الدعاء عمل وأخذ بالأسباب، فالمؤمن يطلب من الله الرزق ويسعى للكسب، ويطلب من الله النصر ويسعي لامتلاك القوة وأسبابها.

١١– الاستعداد للدعاء باستقبال القبلة والتطهر من الحدثين الأكبر والأصغر.

١٢– تَخَيُّر أوقات الإجابة، مثل ساعات السَّحَر، ويوم الجمعة، ويوم عرفة، وبعد الصلوات الخمس، وبعد الأذان والإقامة .

- **نماذج من الادعية المأثورة:**

لقد كان عليه الصلاة والسلام دائم الصلة بالله ، يذكره في كل أحيانه، ويتوجه إليه بالدعاء في معظم الأوقات، وفي مختلف الأزمنة ، وفي حالتي الرخاء والشدة، والرضى والغضب، يدعو الله عند الأكل والشراب وبعدهما، وعند الدخول إلى البيت والخروج منه وعند السفر والقدوم منه، وقبل الصلاة وبعدها، حياته كلها ذكر ودعاء وصلاة وقراءة قرآن أو سماع للقرآن، ونثبت لك أربعة نماذج من أدعية الرسول المأثوره:

---

١ – الترمذي باب إجابة الدعوات وصححه.

٢ – مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه والترمذي باب إجابة الدعوات وصححه.

٣ – البخاري ٧٤٧٧/ .

١ – **سيد الاستغفار**: «اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ، وأبوء بذنبي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت »[١].

٢ – **دعاء قبل النوم**: «اللهم أسلمت نفسي إليك ووجهت وجهي إليك وألجأت ظهري إليك وفوضت أمري إليك ، رغبة ورهبة إليك لاملجأ ولامنجامنك إلا إليك، أمنت بكتابك الذي أنزلت ونبيك الذي أرسلت »[٢].

٣ – **دعاء قيام الليل**: «اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت الحق ووعدك حق، وقولك حق، ولقاؤك حق، والجنة حق والنار حق، والساعة حق، والنبيون حق، ومحمد حق، اللهم لك أسلمت، وعليك توكلت، وبك آمنت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت »[٣].

٤ – **دعاء المساء والصباح**: عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمسى قال: «أمسينا وأمسى الملك لله والحمدلله، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم أسألك خير ما في هذه الليلة وخير ما بعدها، وأعوذ بك من شر ما في هذه الليلة وشر ما ما بعدها، رب أعوذ بك من الكسل وسوء الكِبر، رب أعوذ بك من عذاب في النار، وعذاب في القبر، وإذا أصبح قال ذلك أيضا أصبحنا وأصبح الملك لله »[٤].

من خلال قراءة هذه المختارات من الأدعية النبوية نستنتج الآتي:

١ – الأدعية فيها اعتراف كامل بألوهية المولى عز وجل وربوبيته.

٢ – الاعتراف بتفرد الله بتدبير مصائر العباد وأنه أعرف بمصالحهم.

٣ – تثبت غاية التودد والتحبب من العبد للمعبود.

٤ – تثبت غاية الفقر والاحتياج إلى الله تعالى.

---

١ – البخاري: كتاب الدعوات.

٢ – البخاري كتاب الدعوات، ومسلم في الذكر ١٧ / ٥ عن البراء بن عازب.

٣ –البخاري :كتاب الدعوات ومسلم في الذكر عن ابن عباس.

٤ – أخرجه مسلم في الذكر / ٢٧٢٣١ /

٥ – اعتراف بكرم الله ورحمته الواسعة وعطائه الذي لا ينفد .

٦ – إن الله يقبل توبة التائبين ويعفو عن المعاصي التي لم يدخل فيها حقوق الناس .

فعلى المسلم أن يكون دائم الاتصال بالله سبحانه وتعالى اقتداء بالرسول الكريم ﷺ .

التقويم

١– بين المقصود بالدعاء .

٢– اشرح أهمية الدعاء .

٣– اذكر الدليل على أهمية الدعاء

٤– اذكر آداب الدعاء مستشهداً عليها بالأدلة .

٥– وضح العلاقة بين الدعاء والعبادة .

٦– اكتب ما تحفظه من الأدعية المأثورة عن رسول الله ﷺ .

٧– علام تدل الآيات الآتية؟ وضح دلالتها في ضوء مافهمت من الدرس .

أ – قال تعالى :

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[البقرة]

ب– قال تعالى :

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[غافر]

٨ – ماذا تستنتج من الأدعية المأثورة؟

تم الكتاب بحمد الله

استبانة تقويم الكتاب

بيانات المستجيب:

الاسم/.....	المؤهل وتاريخه/.....	التخصص/.....
العمل الحالي /.....	المحافظة/.....	

بيانات الكتاب:

المادة /.....	الصف /.....	اسم الكتاب /.....
الجزء/.....	الطبعة.....	السنة الدراسية /.....
تاريخ تعبئة الاستبانة.....		

نهدف من هذه الاستبانة تقويم الكتاب بغرض تحسينه في الطبعات القادمة.
نرجو التكرم بوضع علامة (✓) تحت الوصف الذي تراه مناسباً لإجابتك أمام كل بند.

البنـــد	جيد جداً	جيد	مقبول	ضعيف
أولاً- الأهداف:				
– وضوح الصياغة .				
– تقيس فكرة محددة .				
– يمكن قياسها .				
– شاملة (معرفية – مهارية – وجدانية) .				
ثانياً - المادة العلمية وأسلوب عرضها:				
– ملائمة لغة الكتاب لمستوى المتعلم .				
– سلامة ووضوح لغة الكتاب .				
– ترسيخ المحتوى للقيم الدينية والوطنية .				
– مادة الكتاب تكسب المتعلم خبرات جديدة .				
– ملامسة المادة لمشكلات المتعلم واهتماماته .				
– مادة الكتاب تساعد المتعلم على فهم المشكلات .				
– مادة الكتاب تراعي الفروق الفردية .				
– خلو الكتاب من التكرار في الموضوعات .				
– يراعي أسلوب عرض المادة الترابط والتسلسل المنطقي .				
– مراعاة مادة الكتاب للحداثة والدقة العلمية .				
– عرض المادة تحفز على القراءة والبحث والتفكير .				
– تحقيق المحتوى لأهداف المادة .				

البنـــد	جيد جداً	جيد	مقبول	ضعيف
ثالثاً - الوسائل التعليمية:				
– وضوحها ودقتها .				
– ارتباطها بموضوعات الدرس .				
– مدى ارتباطها بالأهداف .				
رابعاً - التقويم:				
– الأنشطة والتمارين تكسب المتعلم مهارات متنوعة .				
– بطاقات التفكير تثير دافعية البحث والإطلاع .				
– الأسئلة والتمرينات تقيس مدى تحقيق الأهداف .				
– مناسبة لمستوى المتعلم .				
– دقة ووضوح الصياغة .				
– تراعي الفروق الفردية .				
– متنوعة وشاملة للجوانب المعرفية .				
– تساعد المتعلم في تطبيق ما تعمله في مواقف الحياة المختلفة .				
– كفاية الأسئلة في مساعدة المتعلم على استيعاب مادة الكتاب .				
خامساً - الشكل والإخراج الفني:				
– ارتباط الغلاف بمحتوى الكتاب .				
– متانة تجليد الكتاب .				
– وضوح الألوان ومناسبتها .				
– وضوح ودقة الطباعة .				
– نوعية ورق الكتاب .				

أسئلة عامة، أجب بـ (نعم) أو (لا):

البنـــد	نعم	لا	
– ينسجم محتوى الكتاب مع نظام الفصلين الدراسيين .			
– عدد الحصص المقررة تكفي لا ستيعاب مادة الكتاب .			
– هل الوسائل التعليمية متنوعة وكافية ؟			
– هل هناك ضرورة لوجود قائمة بالمراجع ومصادر المعلومات ؟			
– هل هناك موضوعات ترى ضرورة حذفها (اذكرها) ؟			
– هل هناك موضوعات ترى ضرورة إضافتها (اذكرها) ؟			
إذا كان لديك ملاحظات أخرى اكتبها			

قائمة الأخطاء العلمية واللغوية والمطبعية:

الخطأ	الصفحة	السطر	الصواب

نرجو التكرم بإرسال الإستبانة إلى

الإدارة العامة للمناهج
تيلفكس: ٥٤٠٣١٠ ـ ٥٤٥٧٩٩
أو إدارة المناهج
مكتب التربية بالمحافظة

وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ
[الأنبياء]
٣٠